صوت الأمة

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٢)	رمضان المبارك ١٤٣١ هـ
العدد التاسع	سبتمبر ٢٠١٠ م

المشـرف العام — **عبـد الله سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمــة** بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

المنشـور لا يعبـر إلا عـن رأي كاتبـه

محتويات العدد

الافتتاحية

دور المملكة العربية السعودية
في خدمة الإنسانية

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن من دواعي الغبطة والسرور أن تعقد جمعية خريجي الجامعات السعودية في الهند والنيبال، الملتقى الثالث (١) لأعضاء الجمعية، وتختار له: "الإسلام دين الوسطية والسلام" موضوعا، وقد أحسنت الجمعية في اختيار مكان الملتقى إذ قررت عقده في دلهي، عاصمة البلاد. وقد حدد المسؤولون موضوعات فرعية للملتقى، وقد جذب انتباهي من بين هذه الموضوعات الفرعية موضوع: "دور المملكة العربية السعودية في نشر التعليم وخدمة الإنسانية"، فإن دور المملكة المحروسة في هذين المجالين مشرق لامع، ومواقفها من هاتين القضيتين تستحق الإشادة والتنويه، فإن هذه الدولة التي لم يتجاوز عمرها ثلاثة أرباع قرن سجلت تاريخا رائعا في المجالين المشار إليهما، وأنجزت إنجازات القرون. وبما أن الموضوع يضم في أصله جانبين: جانب خدمة الإنسانية وجانب التعليم، فإني آثرت الاكتفاء بالحديث عن الجانب الأول فقط، لأن كلا من الجانبين يستحق أن يفرد بالكتابة والبحث، حتى ينال حقه من العناية والاهتمام، وأرجو أن يوفقني الله بتناول الجانب الآخر بالكتابة في مناسبة أخرى.

إنني إذ أتحدث عن هذا الموضوع فلا أتحدث عن عاطفة أو حسن ظن، بل أسعدني الله بالاطلاع على ما سأورده خلال إقامتي كطالب بالمملكة لنحو ثماني سنوات، وقرت عيناي بمشاهدة الوقائع الممتعة والأساليب المتنوعة للبذل والعطاء، وكذلك البيانات والتقارير الصادرة في الجرائد والمجلات السعودية والهندية بما يتعلق بهذا الموضوع هي الأخرى تحمل الحقائق وتسجل الوقائع وتشهد بالحق.

(١) عقد الملتقى في شهر ربيع الأول ١٤٣٠ هـ بمدينة دلهي.

خدمة الإنسانية مطلب شرعي ومقتضى حضاري وواجب إنساني:

إن المطلع على تاريخ المملكة العربية السعودية وعلى مبادئ سياستها يعرف جيدا أن هذه المملكة تتخذ من الشريعة الإسلامية دستورا لحكومتها ومن الدين الإسلامي أساسا لسياستها، والشريعة الإسلامية تمتاز من بين الشرائع والديانات بمواقفها العادلة من الانسانية وبنداء اتها الصارخة بحقوق الإنسان وصيانتها وبتعليماتها السامية المصرحة بكرامة الإنسانية وشرفها وسموها.

إن الدين الإسلامي يحث أتباعه على البر والإحسان، ويرغبهم في مساعدتهم المحتاجين ورعاية الأيتام، ويأمرهم بكفالة الأرامل وإطعام الجائعين وعيادة المرضى، وتفريج هم المهمومين وتنفيس كرب المكروبين وقضاء دين المدينين، وفكاك أسر المأسورين، بل إن تعليماته السامية تجاوز كل ذلك إلى الإحسان إلى الحيوانات والطيور، وتفاصيل كل ذلك موجودة في نصوص الكتاب والسنة وسيرة نبي الرحمة ﷺ.

من هذه المبادئ الإسلامية الراسخة انطلقت المملكة المحروسة – حكومة وشعبا – وشمرت عن ساق الجد، وأقامت صروح المجد داخل البلاد وخارجها، وضربت أمثلة رائعة للدعم والتعاون والمواساة والإيثار والبذل والعطاء للأمة الإسلامية والأمة البشرية على حد سواء. ولا تزال هذه السلسلة الذهبية في توسع واستمرار، ولله الحمد والمنة، ويأتي تحقيق هذا المطلب الشرعي مقارنا لتحقيق المقتضى الحضاري ولأداء الواجب الإنساني أيضا.

وحينما نتكلم عن دور المملكة في خدمة الإنسانية فإن حديثنا يشمل دور الشعب السعودي ودور الحكومة السعودية على حد سواء، لأن الشعب السعودي الأبي سباق – كقيادتها – إلى المعايشة مع هموم الآخرين ومشاطرة أحزانهم وتخفيف آلامهم وتفريج كرباتهم.

وكل من تيسر له قضاء فترة طويلة أو قصيرة في ربوع المملكة ومشاهدة أنماط حياة الشعب السعودي وسلوكياته يعترف ويشهد بأن هذا الشعب العربي السعودي مطبوع على بذل الخير والعطاء والجود والسخاء، والكرم والوفاء، فلا يترك فرصة إلا اغتنمها لتقديم كل ما في وسعه عملا بأوامر دينه وتعاليم شريعته.

فمن المعلوم أن الزكاة فريضة من فرائض الإسلام وركن من أركان الدين، قد أوجبها الله على الموسرين من المسلمين الذين يملكون النصاب المقرر، حيث تصرف هذه الزكاة إلى المحتاجين من الفقراء والمساكين والمستحقين الآخرين، وتعتبر هذه الفريضة مظهرا من

مظاهر عناية الإسلام بالإنسانية المقهورة المغلوبة على أمرها، وكذلك أساسا من أسس النظام المالي للإسلام. والشعب السعودي المسلم المتربى في حضن الإسلام والعائش في ظل الدولة الإسلامية يقوم بأداء هذا الواجب الديني بكل عناية واهتمام، ويخرج زكاة أمواله بكل دقة، وبذلك يصرف مليارات الريالات سنويا إلى المستحقين، وهو لا يريد بذلك جزاء ولا شكورا، وإنما هي فريضة يقضيها وواجب يؤديه، ويرجو جزاء ه عند الله عز وجل.

أما الصدقات النافلة والعطاء ات العامة فحدث عنها ولا حرج، فإن هذا الشعب الكريم تخطى كل التخرصات والقياسات في إفادة الآخرين ومواساتهم بماله، وقد بلغ من حبه للبذل والإنفاق أنه يكتشف بين حين وآخر أساليب جديدة وطرقا مفيدة لإدخال السرور على إخوانه في شتى أنحاء العالم، فترى في الحرمين الشريفين ومساجد المملكة طوال أيام السنة موائد لإفطار الصائمين مبسوطة مليئة بأنواع من المطعومات والمشروبات، وتكون الدعوة عامة لجميع الصائمين، بل إن صاحب المائدة يقوم بنفسه هو ومن معه من مساعديه يعرض على القادمين الدعوة لتناول الإفطار على مائدته. ويكون الاهتمام في شهر رمضان المبارك أكثر وعلى مستوى أكبر، وهؤلاء الكرماء حينما يزينون هذه الموائد لمن حولهم من الصائمين فإنهم لا ينسون إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها، فقد بلغ من حرصهم على مشاركة أولئك الإخوان أنهم يكلفون الأفراد والجمعيات العاملة في هذا المجال بإيصال موائدهم أو ثمنها إلى تلك البلاد النائية حتى يتمكن الصائمون هنا وهناك من الاستفادة من هذا المشروع المبارك.

فعلى سبيل المثال أفطر أكثر من (١,٢٠٠,٠٠٠) صائما وصائمة في عام واحد وهو عام ١٤٢٠ / ١٤٢١ هـ موزعين على (٦٦) دولة، بعناية هيئة واحدة فقط وهي هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، تقوم الهيئة بالترتيب لهذا العمل قبل حلول الشهر الكريم، ومن ثم يقوم العاملون والمتطوعون بتغطية تكاليفه المالية بتسويقها أثناء الشهر، ولأن إقامته لا تحتاج إلى تشييد مبان أو توظيف قدرات علمية فقد استفاد منه المسلمون الموجودون في كثير من الدول الإسلامية بل والدول البعيدة كمسلمي أستراليا وبلجيكا والدانمارك والنمسا وكندا. (١)

وهناك عشرات الجمعيات والهيئات وكذلك الأفراد تقوم بتنفيذ هذا المشروع سنويا باستمرار بتمويل من أبناء هذه البلاد وقادتها.

(١) الأقليات المسلمة والعمل المؤسسي (هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية) للدكتور أحمد بن محمد الشبعان، ص: ١٥.

وكذلك مشروع الأضاحي هو الآخر من مظاهر اهتمام هذا الشعب بإخوانه في أنحاء العالم حيث يتطوع هذا الشعب بتحمل نفقة الأعداد التي بوسعه من الأضاحي، حيث تقوم الأفراد والهيئات بإيصال المبالغ إلى الجهات المعنية هنا وهناك لكي يشارك المحتاجون إخوانهم المسلمين في فرح عيد الأضحى ويقدروا على ذبح أضاحيهم، ويستفيد ملايين المسلمين من هذا المشروع سنويا، ولله الحمد.

ومن مظاهر اهتمامهم بالعمل الخيري قيامهم برعاية الأيتام في الداخل والخارج، فيبذل هؤلاء بسخاء لمسح دموع البراعم الذين فقدوا ظلال آباء هم وأصبحوا عرضة للمنظمات التنصيرية والإلحادية المنتشرة.

أما مساعدة متضرري الزلازل والفيضانات ومتشردي الحروب والاضطرابات ومنكوبي الحوادث والاضطهادات فكرماء المملكة المحروسة تجدهم في مقدمة صفوف الإغاثة والمغيثين، فبمجرد سماع نبأ الكارثة أو النكبة تتحرك الأفراد والجمعيات وتخطط للوصول إلى المصابين والمتضررين في أقرب الساعات، والشعب السعودي والقيادة السعودية كلاهما يفتح خزائنه على مصراعيها، عسى أن يشارك في إنقاذ غريق أو علاج مصاب أو كفالة أرملة أو رعاية يتيم أو إطعام جائع أو صيانة ضائع أو إغاثة ملهوف، وبمجرد إطلاق نداء واحد للمساهمة في أعمال الإغاثة تجدهم يسارعون ويتسابقون لتقديم معوناتهم، وقد شاهدت في أحد مساجد مكة المكرمة أنه أعلن في نهاية محاضرة لأحد المشايخ عن جمع تبرعات لصالح مضطهدي البوسنة والهرسك غالبا، وقام المتطوعون على كل باب من أبواب المسجد وبيد كل منهم كيس كبير، وكان المسجد مملوء ا بالمستمعين، فما أن استمعوا إلى هذا الإعلان إلا أكبوا على هذه الأكياس وملؤوها بريالاتهم خلال عدة دقائق.

ومما شاهدت أيضا أن أصحاب الخير والبر يأتون بأكياس مملوء ة من الريالات ويسلمونها إلى إمام مسجد ويفوضونه حرية التوزيع على المستحقين.

ويلاحظ المعتمرون والحجاج مناظر التوزيع المجاني للمشروبات والعصيرات والأطعمة الجاهزة خارج الحرمين الشريفين وفي المشاعر المقدسة على السيارات والناقلات.

هذا بعض ما اطلعنا ونطلع عليه من مظاهر جودهم وسخاء هم ونماذج كرمهم وعطاء هم، وهناك الكثير والكثير لا سبيل لأحد الاطلاع عليه لسبب الإخفاء المأمور به، فهناك

أيادي عليا لا تستطيع أن تراها لأنها تعمل بموجب الآية القرآنية: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ...... ﴾ وبموجب الحديث النبوي الشريف: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ......". (متفق عليه)

الجمعيات والمنظمات الخيرية

توجد في مختلف مناطق المملكة مؤسسات وجمعيات خيرية تعمل لصالح الإسلام والإنسانية، وقد تضاعف عدد هذه الجمعيات – مؤخرا – أربعة أضعاف، ففي عام ١٤٠٢ هـ كان عدد الجمعيات (٤٩) جمعية، بينما في عام ١٤٢٢ هـ وصل عددها إلى (٢٢٣) جمعية. (١)

ومن هذه المؤسسات: مؤسسة الملك فيصل الخيرية، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، مؤسسة الأمير سلطان الخيرية. إدارة المساجد والمشاريع الخيرية، مؤسسة الإعمار الخيرية، مؤسسة ابن ابراهيم الخيرية.

"وإن أهداف هذه الجمعيات هي المشاركة في كل عمل إنساني، والإسهام في كل ما يدفع المصائب والمشكلات عن المجتمع، ومن أهمها:

١ – تقديم المساعدات العينية والنقدية للمحتاجين والفقراء والغارمين وابن السبيل.

٢ – خدمة الفقراء ورعاية الأيتام والمسنين، وتأسيس المستشفيات والملاجىء والمدارس ودور الحضانة ومراكز الإسعاف.

٣ – الاشتراك مع الهيئات الحكومية في مساعدة منكوبي الكوارث العامة. (٢)

هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية كنموذج:

هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية واحدة من الهيئات الإغاثية العالمية ذات الجهود الجبارة، والتي تدعى لاجتماعات ومؤتمرات الأمم المتحدة المعنية بقضايا اللجوء والأمومة والطفولة والكوارث والإغاثات، وهي عضو في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي، كما أنها عضو في بعض اللجان المحلية الإغاثية. وتتعاون الهيئة مع بعض المنظمات الدولية في تنفيذ مشروعات مشتركة للاجئين، كمنظمة الغذاء العالمي واليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية.

انطلقت هذه الهيئة المباركة من رابطة العالم الإسلامي وأخذت اسم "إغاثة" أي إغاثة

---

(١) صوت الأمة، رجب ١٤٢٦ هـ، ص: ٢٠.

(٢) دور المملكة العربية السعودية في خدمة الإسلام، ص: ٣٣٦.

المحتاج بالكساء والطعام خاصة وقت الحروب والكوارث، وامتدت أهدافها بعد نجاحها إلى أبعد من ذلك من دعوة وخدمات اجتماعية.

من إنجازات الهيئة:

☆ الرعاية الاجتماعية: لم يتوقف النشاط الإغاثي وقت النكبات العارضة، وإنما امتد إلى داخل بيوت الفقراء والمعوزين وعلى الخصوص بيوت الأيتام المحرومين من الأبوة والأمومة.

وقد أفاد أحد تقارير الهيئة أنه بلغ عدد الأيتام المكفولين (٦٣) ألفا، و (٥٩٣) يتيما، موزعين على خمسين دولة.

ويفيد تقرير الهيئة لعام ١٤٢٠ هـ / ١٤٢١ هـ أنه بلغ عدد الأيتام المكفولين لذلك العام (٣٦,٣٦٠) يتيما ويتيمة، بلغ الإنفاق عليهم في العام نفسه (٣٦,٩٠٨,٢٢٠) ريالا، وبالاستفادة بـ (٢٨) مشرفا للأيتام استطاعت تسيير (٢١) دارا في آسيا وأفريقيا.

☆ الرعاية الصحية: أنشأت الهيئة (إلى عام ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م) ٢٧٩ مشروعا صحيا في ٤٥ دولة من دول العالم، حيث بلغ عدد المستشفيات ١٨ مستشفى، والمستوصفات ١٦١ مستوصفا، بالإضافة إلى ٨ مجمعات للعيادات، و ٥٠ عيادة، و ١٣ صيدلة و ٩ قوافل طبية، و ٦ مراكز للتغذية، و ١٤ برنامجا صحيا، كما بلغ عدد المراجعين من المرضى لهذه المشروعات لمدة عام واحد أكثر من ٤ ملايين مريض ومريضة.

وجاء في تقرير عام ١٤٢٠ هـ / ١٤٢١ هـ للهيئة أنها تتولى تسيير (١٠٤) مشروعا صحيا ما بين مستشفى ومستوصف وعيادة ومركز صحي في (٢٩) دولة، وقد استفاد – في ذلك العام – من هذه المشروعات قرابة المليونين من المسلمين أنفق عليها (٨,٢١٠,٢٨٢) ريالا.

☆ مشروع الأضاحي: نفذت الهيئة مشروعها الرائد (الأضاحي) للعام الحالي ١٤٢٩ هـ في (٤٥) دولة من دول آسيا وإفريقيا وأوربا، فأثلجت بذلك صدور آلاف الأسر الفقيرة التي كانت تنتظره بفارغ الصبر، حيث وصل عدد الأضاحي حوالي (٢٠) ألف أضحية.

☆ مشروع افطار الصائم: للهيئة طريقتان لتنفيذ هذا المشروع: الأولى: توزيع المواد الجافة على الأسر، والثانية: إقامة موائد إفطار جماعية.

ميزانية تنفيذ برنامج إفطار الصائم في عام ١٤١٥ هـ كانت أعلى ميزانية منذ أن

بدأت الهيئة في تنفيذ هذا المشروع، حيث بلغت هذه الميزانية (٩,٦٦٦,٣٠٢) ريال.

وبلغ عدد الدول التي استفادت منها (٥٦) دولة من مختلف دول العالم.

وعدد المستفيدين من هذا المشروع عام ١٤٢٠ هـ / ١٤٢١ هـ أكثر من (١,٢٠٠,٠٠٠) صائما وصائمة موزعين على (٦٦) دولة.

☆ حفر الآبار: في عام ١٤٢٠ هـ / ١٤٢١ هـ فقط حفرت الهيئة (٢٣٥) بئرا سطحية وارتوازية بتكلفة كلية (٧٦٣,٤٥٠) ريالا، منها (٢٣٤) بئرا في ٣ دول آسيوية، استفاد منها (١١٥,٢٠٠) فرد، وبئر سطحية واحدة في أفريقيا في دولة النيجر.

☆ التنمية البشرية: أنشأت الهيئة العديد من المراكز المهنية لتدريب أولاد الفقراء على مختلف أنواع المهن اليدوية مثل التجارة والحدادة والكهرباء، والحياكة بالنسبة للنساء، وفي بعض المناطق الأفضل وضعا ماديا هناك مراكز للحاسوب.

وحتى عام ١٤٢٠ / ١٤٢١ هـ وجد (١٥) فرعا للتدريب المهني موزعة على (٩) دول، كألبانيا وأوغندا، وقد التحق بها قرابة (١٥٠٠) دارسا ودراسة.

☆ المساعدات الإغاثية: قدمت الهيئة مساعدات كبيرة ومتنوعة للاجئين الشيشان في مواقع لجوئهم، واستفادت منها أكثر من (٢٠) قرية ومدينة، كذلك للمتضررين من الحروب الدائرة في منطقة بلقان، حيث قامت بتقديم كميات من الإغاثة العاجلة للنازحين في توزلا.

أما بالنسبة للمتضررين أو المشردين في طاجكستان، فإن الهيئة كانت من أوائل المنظمات الإغاثية التي ذهبت لتنقذهم حيث كان هناك مئات الآلاف من القتلى والجرحى، وأكثر من مليون مشرد في المناطق الجبلية الباردة، وعشرات الآلاف من المغتصبات وغيرهم، وسارعت الهيئة إلى إنشاء أكثر من (٥٠٠٠) بيت شتوي لإيواء هؤلاء المشردين.

إن الهيئة شكلت حضورا كاملا في العديد من الفيضانات والحرائق في بنغلاديش، وكانت الهيئة قد اعتمدت مبلغ (٢٥٠,٠٠٠) ريال لإغاثة المنكوبين من الزلازل التي اجتاحت ولاية مهاراشترا الهندية.

كما اعتمدت الهيئة مبالغ طائلة لمساعدة المنكوبين في كردستان العراق وفي آذربيجان وفي أفغانستان وكذلك المنكوبين بالحروب والزلازل والفيضانات في

أنحاء العالم.(١)

☆ أوفدت الهيئة فريقا للإغاثة لمساعدة المتضررين من الفيضانات والسيول في بعض المناطق اليمنية قبل شهرين من الآن، وقد استعان هذا الفريق بطائرات (الهيلوكوبتر) لإيصال خدماتها الإنسانية للمنكوبين في بعض القرى والمدن النائية والمعزولة، خصوصا وأن الطرق المؤدية لها أصابها العطب الشديد وجرفتها السيول، كما أن تلك المناطق تبعد عن بعضها بمئات الكيلومترات.

وبعد إعداد خطة ميدانية مكثفة لحصر الأسر المتضررة والمناطق المنكوبة هرع الفريق في توزيع كميات كبيرة من المؤن الغذائية للمتضررين مثل الحليب والأرز والسكر والزيت والفول والصابون وكذلك الفرش والبطاطين والملابس والأدوية وأدوات الطبخ وغيرها، ورافقته في جولاته لتلك القرى حملات طبية لتقديم العلاج، وقام الفريق أيضا بتأمين صهاريج للمياه في بعض القرى التي تعاني من أزمة المياه وإصلاح بعض الآبار، حيث إن الهيئة قد رصدت حوالي (مليوني ريال) لتوفير هذه المساعدات. يذكر أن هذه الفيضانات تعد أسوأ كارثة طبيعية يتعرض لها اليمن منذ عقود.

☆ قدمت الهيئة لمساعدة المتضررين من الشعب الفلسطيني على إثر الهجمات الإسرائيلية الشرسة في بداية هذا العام ١٤٣٠ ﻫ مبلغ (٥,٢٠٠,٠٠٠) ريال، منه مبلغ (٣,٧٥٠,٠٠٠) ريال تبرعت به لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) ومبلغ (١,٢٥٠,٠٠٠) ريال لتأمين الأدوية والمستلزمات الطبية في بعض مستشفيات القطاع، بينما تبرعت بمبلغ (٢٠٠,٠٠٠) ريال لتوفير العلاج الطبي لعدد من الحالات المرضية في بعض المخيمات.

(يتبع)



---

(١) راجع للمعلومات المذكورة: الأقليات المسلمة والعمل المؤسسي، ص: ٩ – ١٦، العالم الإسلامي، مكة المكرمة، عدد ١٢ – ١٨ / رجب ١٤١٦ ﻫ = ١٩٩٥ م، صوت الأمة، بنارس، شوال المكرم ١٤٢٥ ﻫ مجلة الرابطة، صفر ١٤٣٠ ﻫ = فبراير ٢٠٠٩ م، ص: ٧٩، العالم الإسلامي، العدد (٢٠٥٥) ١٥/ محرم ١٤٣٠ ﻫ.

التوجيه الإسلامي

الاستغفار والتوبة

الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

(الاستغفار) أى طلب المغفرة، وقال الحافظ: الاستغفار استفعال من الغفران، وأصله الغفر،وهو إلباس الشيء ما يصونه عما يدنسه، وتدنيس كل شيء بحسبه، والغفران من الله للعبد أن يصونه من العذاب – انتهى. قال القارى: الاستغفار قد يتضمن التوبة، وقد لا يتضمن، ولذا قال (والتوبة) أو الاستغفار باللسان والتوبة بالجنان،وهي الرجوع من المعصية إلى الطاعة والمغفرة منه تعالى لعبده ستره لذنبه في الدنيا بأن يطلع عليه أحدا، وفي الآخرة بأن لا يعاقبه عليه. قال الطيبى: والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، هذا كلام الراغب، وزاد النووى وقال إن كان الذنب متعلقا ببني آدم فلها شرط آخر،وهو رد المظلمة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه.

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (ج1 ص 169) في الكلام على تفسير التوبة المطلقة، وكثير من الناس إنما يفسر التوبة بالعزم على أن لا يعاود الذنب، وبالإقلاع عنه في الحال، وبالندم عليه في الماضي، وإن كان في حق آدمي فلابد من أمر رابع وهو التحلل منه، وهذا الذي ذكروه بعض مسمى التوبة بل شرطها، وإلا فالتوبة في كلام الله ورسوله كما تتضمن ذلك تتضمن العزم على فعل المأمور والتزامه، فلا يكون بمجرد الإقلاع والعزم والندم تائبا حتى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور والإتيان به، هذا حقيقة التوبة، وهى اسم لمجموع الأمرين، لكنها إذا قرنت بفعل المأمور كانت عبارة عما ذكروه، فإذا أفردت تضمنت الأمرين، وهي كلفظة التقوى التي عند إفرادها تقتضي فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وعند اقترانها بفعل المأمور تقتضي الانتهاء عن المحظور، فإن حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب، وترك ما يكره، فهي رجوع من مكروه إلى محبوب، فالرجوع إلى المحبوب جزء مسماها، والرجوع عن المكروه الجزء الآخر، ولهذا علق سبحانه الفلاح المطلق على فعل المأمور وترك المحظور بها فقال {وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون – النور: 31} فكل تائب مفلح ولا يكون مفلحا إلا من فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه. وقال تعالى {ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون – الحجرات: 11} وتارك المأمور ظالم كما أن فاعل المحظور ظالم، وزوال اسم الظلم عنه بالتوبة الجامعة الأمرين.

قال: وإنما سمي التائب تائبا لرجوعه إلى أمر الله من نهيه وإلى طاعته من معصيته كما تقدم، فإذا التوبة هي حقيقة دين الإسلام والدين كله داخل في مسمى التوبة،وبهذا استحق

التائب أن يكون حبيب الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وإنما يحب الله من فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه، فإذا التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا، ويدخل في مسماها الإسلام والإيمان والإحسان، وتتناول جميع المقدمات. قال ابن القيم: (مشيرا إلى الفرق بين الاستغفار والتوبة) وأما الاستغفار فهو نوعان: مفرد ومقرون بالتوبة، فالمفرد كقول نوح عليه السلام لقومه {استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا – نوح : 10، 11} وكقول صالح عليه السلام لقومه {لو لا تستغفرون الله لعلكم ترحمون – النمل : 46} وكقوله تعالى {واستغفروا الله إن الله غفور رحيم – المزمل: 20} وقوله {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون – الأنفال : 33} والمقرون كقوله تعالى {وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله – هود : 3} وقول صالح لقومه {استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله – هود: 3} وقول صالح لقومه {استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب – هود: 61} وقول شعيب {واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربى رحيم ودود–: هود 90} .

فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس إنها الستر، فإن الله يستر على من يغفر له، ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزئه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم، وحقيقتها وقاية شر الذنب، ومنه المغفر لما يقي الراس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرا ولا القبع ونحوه مع ستره فلابد في لفظ المغفر من الوقاية. وهذا الاستغفار الذى يمنع العذاب في قوله {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون – الأنفال: 33} فإن الله لا يعذب مستغفرا . وأما من أصر على الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق. وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة والرجوع طلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيآت أعماله فههنا ذنبان: ذنب قد مضى، فالاستغفار طلب وقاية شره،وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة العزم على أن لا يفعله، والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شرما يستقبل من شر نفسه وسيئآت أعماله، وأيضا فإن المذنب بمنزلة من ارتكب طريقا تؤديه إلى هلاكه ولا توصله إلى المقصود فهو مأمور أن يوليها ظهره ويرجع إلى الطريق التى فيها نجاته، وتوصله إلى مقصوده، وفيها فلاحه، فههنا أمران لابد منهما مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره فخصت التوبة بالرجوع والاستغفار بالمفارقة، وعند إفرادهما يتناول الأمرين، ولهذا والله أعلم جاء الأمر بهما مرتبا بقوله {واستغفروا

ربكم ثم توبوا اليه – هود: 90} فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل، وأيضا فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده والله أعلم.

وقيل في الفرق بينهما إن التوبة لا تكون إلا لنفسه أي لما اجترحته نفسه خاصة من الآثام بخلاف الاستغفار، فإنه يكون لنفسه ولغيره أو لغيره فقط، كما قال تعالى: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان –الحشر: 10} وقال تعالى حاكيا عن الملائكة {ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا –غافر: 7} وإن التوبة هي الندم على ما فرط في الماضي،والعزم على الامتناع منه في المستقبل، والاستغفار طلب الغفران لما صدر منه ولا يجب فيه العزم في المستقبل. هذا، وللتوبة أحكام لا يليق بالعبد جهلها، ذكر ابن القيم نبذا منها في مدارج السالكين شرح منازل السائرين (ج1 ص 150، 169) فعليك أن تطالعه وأضف إلى ذلك مطالعة كتاب التوبة من الإحياء للغزالى.

وقد عقد ابن القيم فى المدارج (ج1 ص 172 –173) فصلا لإيضاح الفرق بين الذنب والسيئة والتكفير والمغفرة، فطالعه أيضا مع ما تعقبه وعلق عليه محشيه، وقد ذكر صاحب المنازل أسرارا للتوبة بسط ابن القيم الكلام في شرح السر الأول وتوضيحه، أحببنا إيراده لغاية حسنه ولطافته.

قال صاحب المنازل: ولطائف أسرار التوبة ثلاثة أشياء: أولها أن ينظر الجناية والقضية فيعرف مراد الله فيها إذ خلاك وإتيانها، فإن الله عز وجل إنما خلى العبد والذنب لمعنيين. أحدهما أن يعرف عزته في قضائه وبره في ستره وحلمه في إمهال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته. الثاني أن يقيم على عبده حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته.

قال ابن القيم في شرح هذا الكلام (ج1 ص 111) اعلم أن صاحب البصيرة إذا صدرت منه الخطيئة فله نظر إلى خمسة أمور، أحدها أن ينظر إلى أمر الله ونهيه، فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والاقرار على نفسه بالذنب. الثانى أن ينظر إلى الوعد والوعيد، فيحدث له ذلك خوفا وخشية تحمله على التوبة. الثالث أن ينظر إلى تمكين الله له منها وتخليته بينه وبينها أو تقديرها عليه وإنه لو شاء لعصمه منها وحال بينه وبينها، فيحدث له ذلك أنواعا من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ومعرفته وعفوه وحلمه وكرمه، وتوجب هذه المعرفة عبودية بهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها البتة، ويعلم ارتباط الخلق والأمر والجزاء والوعد بأسمائه وصفاته، وإن ذلك موجب الأسماء والصفات وأثرها في الوجود، وإن كل اسم وصفة مقتض لأثره وموجبه متعلق به لا بد منه، وهذا المشهد

يطلعه على رياض مونقة من المعارف والايمان وأسرار القدر والحكمة يضيق عن التعبير عنها نطاق الكلم.

فمن بعضها ما ذكره الشيخ يعنى صاحب المنازل أن يعرف العبد عزته فى قضائه، وهو أنه سبحانه العزيز الذى يقضي بما يشاء وإنه لكمال عزه حكم على العبد وقضى عليه بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء وحال بين العبد وقلبه وجعله مريدا شائيا لما شاء منه العزيز الحكيم. وهذا من كمال العزة إذ لا يقدر على ذلك إلا الله، وغاية المخلوق أن يتصرف في بدنك وظاهرك . وأما جعلك مريدا شائيا لما شاءه منك، ويريده فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة فإذا عرف العبد عز سيده ولا حظه بقلبه وتمكن شهوده منه كان الاشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له، لأنه يصير مع الله لامع نفسه ومن معرفة عزته في قضائه أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيره لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته، فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد، ومن شهود عزته أيضا في قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلها لله، وإن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وعبده وغناه، وكذلك بالعكس، فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة.

ومنها إن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصية، فإذا شهد جريان الحكم عليه وجعله فاعلا لما هو غير مختار له ولا مريد بإرادته ومشيئته واختياره، فكأنه مختار غير مختار مريد غيرمريد شاء غير شائ، فهذا يشهد عزة الله وعظمته وكمال قدرته.

ومنها أن يعرف بره سبحانه فى ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له، ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال بره ومن أسمائه البر، وهذا البر من سيده به نفع كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيشتغل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البر والإحسان والكرم فيذهل عن ذكر الخطيئة فيبقى مع الله سبحانه، وذلك أنفع له من الاشتغال بجنايته وشهود ذل معصيته، فإن الاشتغال بالله والغفلة عما سواه هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى، ولا يوجب هذا نسيان الخطيئة مطلقا، بل في هذه الحال. فإذا فقدها فليرجع إلى مطالعة الخطيئة وذكر الجناية، ولكل وقت ومقام عبودية تليق به.

ومنها شهود حلم الله سبحانه وتعالى في إمهال راكب الخطيئة، ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل فيحدث له ذلك معرفته سبحانه باسمه الحليم، ومشاهدة صفة الحلم، والتعبد بهذا الاسم والحكمة والمصلحة الحاصلة من ذلك بتوسط الذنب أحب إلى الله، وأصلح للعبد وأنفع من فوتها، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع.

ومنها معرفة العبد كرم ربه فى قبول العذر منه إذا اعتذر إليه من الاعتذار لا بالقدر فإنه مخاصمة ومحاجة فيقبل عذره بكرمه وجوده، فيوجب له ذلك اشتغالا بذكره وشكره

ومحبة أخرى لم تكن حاصلة له قبل ذلك، فإن محبتك لمن شكرك على إحسانك وجازاك به ثم غفر له إسائتك ولم يؤاخذك بها إضعاف محبتك على شكر الإحسان وحده، والواقع شاهد بذلك، فعبودية التوبة بعد الذنب لون (وهذا لون) آخر يعني أن عبودية التوبة بعد الذنب لون، وهذا الذي ذكره أخيرا من معرفة العبد كرم ربه الخ لون آخر.

ومنها أن يشهد فضله في مغفرته فإن المغفرة فضل من الله، وإلا فلو أخذ بالذنب أخذ بمحض حقه وكان عادلا محمودا. وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك، فيوجب لك ذلك أيضا شكرا له ومحبة وإنابة إليه وفرحا وابتهاجا به ومعرفة له باسمه الغفار، ومشاهدة لهذه الصفة. وتعبدا بمقتضاها، وذلك أكمل في العبودية والمحبة والمعرفة.

ومنها أن يكمل لعبده مراتب الذل والخضوع والانكسار بين يديه والافتقار إليه، فإن النفس فيها مضاهاة الربوبية لو قدرت لقالت كقول فرعون، ولكنه قدر فأظهر وغيره عجز فأضمر، وإنما يخلصها من هذه المضاهاة ذل العبودية وهو أربع مراتب. المرتبة الأولى مشتركة بين الخلق وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله، فأهل السماوات والأرض محتاجون إليه فقراء اليه، وهو وحده الغني عنهم وكل أهل السماوات والأرض يسألونه وهو لا يسأل أحدا. المرتبة الثانية ذل الطاعة والعبودية، وهو ذل الاختيار، وهذا خاص بأهل طاعته وهو سر العبودية. المرتبة الثالثة ذل المحبة، فإن المحب ذليل بالذات لمحبوبه، وعلى قدر محبته له يكون ذله، فالمحبة أسست على الذلة للمحبوب كما قيل:

أخضع وذل لمن تحب فليس في حكم الهوى أنف يسأل ويعقد

وقال آخر:

مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

المرتبة الرابعة ذل المعصية والجناية، فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم، إذ يذل له خوفا وخشية ومحبة وإنابة وإطاعة وفقرا وفاقة،وحقيقة ذلك هو الفقر الذى يشير إليه القوم، وهذا المعنى أجل من أن يسمى بالفقر، بل هو لب العبودية وسرها، وحصوله أنفع شيء للعبد، وأحب شيء إلى الله، فلا بد من تقدير لوازمه من أسباب الضعف والحاجة، وأسباب العبودية والطاعة،وأسباب المحبة والانابة، وأسباب المعصية والمخالفة، إذ وجود الملزوم بدون لازمه ممتنع، والغاية من تقدير عدم هذا الملزوم ولازمه مصلحة وجوده خير من مصلحة فوته، ومفسدة فوته أكبر من مفسدة وجوده، والحكمة مبناها على دفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وقد فتح لك الباب، فان كنت من أهل المعرفة فادخل والإفرد الباب وارجع بسلام.

ومنها إن أسماءه الحسنى تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبباتها فاسم السميع البصير يقتضي مسموعا ومبصرا. واسم الرزاق يقتضى مرزوقا، واسم الرحيم يقتضي مرحوما،

وكذلك اسم الغفور والعفو والتواب والحليم يقتضي من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه ويحلم، ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات، إذ هي أسماء حسنى وصفات كمال ونعوت جلال وأفعال حكمة، وإحسان وجود، فلا بد من ظهور آثارها في العالم. وقد أشار إلى هذا أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم، وأنت إذا فرضت الحيوان بجملته معدوما فلمن يرزق الرزاق سبحانه؟ وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية من العالم، فلمن يغفر وعمن يعفو؟ وعلى من يتوب ويحلم؟ وإذا فرضت الفاقات كلها قد سدت، والعبيد أغنياء معافون فأين السؤال والتضرع والابتهال والإجابة، وشهود الفضل والمنة والتخصيص بالإنعام والاكرام؟ فسبحان من تعرف إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات، ودلهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرفات، ثم نصب إليه الصراط المستقيم، وعرفهم به ودلهم عليه {ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم – الأنفال : 24}

ومنها السر الذي لا تقتحمه العبارة ولا تجسر عليه الإشارة لو لا ينادي عليه منادي الإيمان على رؤس الأشهاد، فشهد به قلوب خواص العباد، فازدادت به معرفة لربها ومحبة له وطمانينة وشوقا إليه ولهجا بذكره وشهودا لبره ولطفه وكرمه وإحسانه ومطالعة لسر العبودية وإشرافا على حقيقة الإلهية، وهو ما ثبت في الصحيحين من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها. ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح، هذا لفظ مسلم.

وفي الحديث من قواعد العلم أن اللفظ الذي يجرى على لسان العبد خطأ من فرح شديد أو غيظ شديد ونحوه، لا يؤاخذ به، ولهذا لم يكن هذا كافرا بقوله أنت عبدي وأنا ربك، قال: والقصد أن هذا الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه، ولا يطلع عليه إلا من له معرفة خاصة بالله وأسمائه وصفاته وما يليق بعز جلاله، وقد كان الأولى بنا طي الكلام فيه إلى ما هو اللائق بأفهام بني الزمان وعلومهم ونهاية أقدامهم من المعرفة وضعف عقولهم عن احتماله غير أنا نعلم أن الله عز وجل سيسوق هذه البضاعة إلى تجارها ومن هو عارف بقدرها، وإن وقعت في الطريق بيد من ليس عارفا بها فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الانسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه وخلقه لنفسه، وخلق كل شيء له وخصه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره، وسخر له في سماواته وأرضه وما بينهما حتى ملائكته الذين هم أهل قربة

استخدمهم وجعلهم حفظة لـه في منامـه ويقظتـه وظعنـه وإقامتـه، وأنـزل إليـه وعليـه كتبـه وأرسله وأرسل إليه وخاطبه وكلمه منه إليه، واتخذ منهم الخليل والكليم والأولياء والخـواص والأحبار، وجعلهم معدن أسراره ومحـل حكمتـه وموضـع حبـه، وخلـق لهـم الجنـة والنـار، فالخلق والأمر والثواب والعقاب مداره على النوع الإنساني، فإنه خلاصة الخلـق وهـو المقصود بالأمر والنهي، وعليه الثواب والعقاب، فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات، وقـد خلـق أبـاه بيده ونفخ من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من جميـع المخلوقـات وطـرد إبلـيس عـن قربـه وأبعـده عـن بابـه إذ لم يـسجد لـه مـع الساجدين، واتخذه عدوا له، فالمؤمنون من نوع الإنسان خير البرية علـى الإطـلاق وخيريـة الله على العالمين، فإنه خلقه ليتم نعمته عليه وليتواتر إحسانه إليه، وليخصه من كرامته وفـضله بما لم تنله أمنيته ولم يخطر على باله، ولم يشعر بـه ليـسأله مـن المواهـب والعطايـا الباطنـة والظاهرة العاجلة والآجلة التى لا تنال إلا بمحبته ولا تنال محبته إلا بطاعته وايثاره على مـا سواه، فاتخذه محبوبا له وأعد له أفضل ما يعده محب غني قادر جواد لمحبوبه، إذ أقدم عليه وعهد إليه عهدا يقدم إليه فيه بأوامره ونواهيه، وأعلمه في عهده ما يقربه إليه ويزيده محبـة له وكرامة عليه وما يبعده منه ويسخطه عليه، ويسقطه من عينه، وللمحبوب عدو هـو أبغـض خلق خلقه إليه، قد جاهره بالعداوة، وأمر عباده أن يكون دينهم وطاعتهم وعبـادتهم لـه دون وليهم ومعبودهم الحق، واستقطع عباده واتخذ منهم حزبا ظاهروه ووالوه على ربهـم، وكـانوا أعداء له مع هذا العدو، يدعون إلى سخطه ويطعنون فى ربوبيته وإلهيته ووحدانيته ويـسبونه ويكذبونه ويفتنـون أوليائـه ويـؤذونهم بـأنواع الأذى، ويجهـدون علـى إعـدامهم مـن الوجـود وإقامة الدلالة لهم ومحوكل ما يحبه الله ويرضاه وتبديله بكـل مـا يـسخطه ويكرهـه، فعرفـه بهذا العدو وطرائقهم وأعمـالهم ومـا لهـم وحـذره مـوالاتهم والـدخول فـى زمـرتهم، والكـون معهم، وأخبره فى عهده أنه أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأرحم الـراحمين، وأنـه سـبقت رحمته غضبه وحلمه عقوبته وعفوه مؤاخذته، وإنه قد أفاض علـى خلقـه النعمـة وكتـب علـى نفسه الرحمة، وإنه يحب الإحسان والجود والعطاء والبر، وإن الفضل كله بيده، والخير كلـه منه، والجود كله له، وأحب ما إليه أن يجود على عبـاده ويوسـعهم فـضلا ويغمـرهم إحـسانا وجودا ويتم عليهم نعمه ويضاعف لديهم مننه، ويتعـرف إلـيهم بأوصـافه وأسمائـه ويتحبـب إليهم بنعمه وآلائه، فهو الجواد لذاته وجود كـل جـواد خلقـه الله ويخلقـه أبـدا أقـل مـن ذرة بالقياس إلى جوده.

فليس الجواد على الإطلاق إلا هو، وجود كل جواد فمن جوده ومحبته للجـود والإعطـاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطـر ببـال الخلـق، أو يـدور في أوهـامهم وفرحـه بعطائه وجوده وأفضاله أشد من فرح الآخذ بما يعطاه أو يأخذ أحوج ما هو إليه وأعظم مـا كـان

قدرا، فإذا اجتمع شدة الحاجة وعظم قدر العطية والنفع بها فما الظن بفرح المعطى؟ ففرح المعطى سبحانه بعطاءه أشد وأعظم من فرح هذا بما يأخذه، ولله المثل الأعلى إذ هذا شأن الجواد من الخلق فإنه يحصل له من الفرح والسرور والابتهاج واللذة بعطائه وجوده فوق ما يحصل لمن يعطيه، ولكن الآخذ غائب بلذة أخذه عن لذة المعطي وابتهاجه وسروره، هذا مع كمال حاجته إلى ما يعطيه وفقره إليه وعدم وثوقه باستخلاف مثله وخوف الحاجة إليه عند ذهابه والتعرض لذل الاستعانة بنظيره ومن هو دونه ونفسه قد طبعت على الحرص والشح، فما الظن بمن تقدس وتنزه عن ذلك كله؟ ولو أن أهل سمواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم ورطبهم ويابسهم قاموا فى صعيد واحد فسألوه، فأعطى كلا ما سأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة، وهو الجواد لذاته كما أنه الحي لذاته العليم لذاته السميع البصير لذاته، فجوده العالي من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب اليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع، فإذا تعرض عبده ومحبوبه الذي خلقه لنفسه وأعدله أنواع كرامته، وفضله على غيره، وجعله محل معرفته، وأنزل إليه كتابه، وأرسل إليه رسوله واعتنى بأمره ولم يهمله ولم يتركه سدى، فتعرض لغضبه وارتكب مساخطه وما يكرهه وأبق منه، ووالى عدوه وظاهره عليه وتحيز إليه وقطع طريق نعمه وإحسانه إليه التي هى أحب شيء إليه وفتح طريق العقوبة والغضب والانتقام فقد استدعى من الجود الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر، وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته فى موضع كرمه وبره وعطائه، فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإ حسان، فبينما هو حبيبه المقرب المخصوص بالكرامة إذا انقلب آبقا شاردا رادا لكرامته، مائلا عنه إلى عدوه مع شدة حاجته إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين.

فبينما ذلك الحبيب مع العدو في طاعته وخدمته، ناسيا لسيده، منهمكا في موافقة عدوه، قد استدعى من سيده خلاف ما هو أهله إذ عرضت له فكرة فتذكر برسيده وعطفه وجوده وكرمه، وعلم أنه لابد له منه وأن مصيره إليه وعرضه عليه، وإنه إن لم يقدم عليه بنفسه قدم به عليه على أسوأ الأحوال، ففر إلى سيده من بلد عدوه وجد في الهرب إليه حتى وصل إلى بابه فوضع خده على عتبة بابه وتوسد ثرى اعتابه متذللا متضرعا خاشعا باكيا آسفا، يتملق سيده ويسترحمه ويستعطفه ويعتذر إليه قد ألقى بيده إليه واستسلم له وأعطاه قياده وألقى إليه زمامه فعلم سيده ما في قلبه، فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه ومكان الشدة عليه رحمة به، وأبدله بالعقوبة عفوا، وبالمنع عطاء وبالمؤاخذة حلما، فاستدعى بالتوبة الرجوع من سيده ما هو أهله وما هو موجب أسمائه الحسنى وصفاته العلى، فكيف يكون فرح

سيده به، وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعا واختيارا، وراجع ما يحبه سيده منه ويرضاه، وفتح طريق البر والإحسان والجود التي هي أحب إلى سيده من طريق الغضب والانتقام والعقوبة؟

وهذا موضع الحكاية المشهورة عن بعض العارفين أنه حصل له شرود وإباق عن سيده فرأى في بعض السكك بابا قد فتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي وأمه خلفه تطرده، حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه ودخلت فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مفكرا فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يؤويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزينا فوجد الباب مرتجا فتوسده، ووضع خده على عتبة الباب، ونام فخرجت أمه، فلما رأته على تلك الحالة لم تملك أن رمت نفسها عليه والتزمته تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي أين تذهب عني ومن يؤويك سواي؟ ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة لك والشفقة عليك وإرادتي الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت.

فتأمل قول الأم: لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة، وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟ فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به.

فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح هذا الواجد لراحلته في الأرض المهلكة بعد اليأس منها، ووراء هذا ما تجفو عنه العبارة وتدق عن إداكه الأذهان، وإياك وطريقة التعطيل والتمثيل، فإن كلا منهما منزل ذميم ومرتع على علاته وخيم، ولا يحل لأحدهما أن يجد روائح هذا الأمر ونفسه لأن زكام التعطيل والتمثيل مفسد لحاسة الشم كما هو مفسد لحاسة الذوق، فلا يذوق طعم الايمان ولا يجد ريحه، والمحروم كل المحروم من عرض عليه الغنى والخير فلم يقبله، فلا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العليم. ثم بسط ابن القيم الكلام فى شرح قول صاحب المنازل، الثانى أن يقيم على عبده حجة عدله فيعاقبه على ذنبه، ثم ذكر النظر الرابع من الأنظار الخمسة التي تحصل عند صدور المعصية من العبد وهو النظر إلى محل الجناية ومصدرها أي النفس الأمارة بالسوء وشرح في ضمنه اللطيفة الثانية من لطائف أسرار التوبة ثم ذكر النظر الخامس وهو نظره إلى الآمر له بالمعصية المزين له فعلها الحاض له عليها وهو شيطانه المؤكل به، ثم أطال الكلام فى شرح اللطيفة الثالثة، من أحب الوقف على ذلك رجع إلى المدارج (ج1 ص 199، 126) .

(مرعاة المفاتح شرح مشكاة المصابيح: 7 / 485 – 493)

* * *

تفنيد المزاعم:

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(13)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

16 – قال الشيخ عداب بعد كلامه السابق مباشرة: "الذي يعنيه قول البخاري أن هذا الحديث لا يعرف إلا من هذا الطريق أو بهذا الإسناد. وهذا الإسناد فيه راويان شبه مجهولين، لم يرويا في كتب السنة سوى هذا الحديث. (ص 311)

قلت: كون الحديث لا يعرف إلا من طريق واحد أو إسناد واحد لا يعني أنه ضعيف، فكم من حديث ليس له إلا إسناد واحد وهو في غاية الصحة. ومنها حديث "إنما الأعمال بالنيات" الذي يعد من أشهر الأحاديث ويبدأ كثير من الأئمة كتبهم بهذا الحديث لكنه لا يروى عن عمر إلا من رواية علقمة ولا عن علقمة إلا من رواية محمد بن إبراهيم، ولا عن محمد بن إبراهيم إلا من رواية يحيى بن سعيد، ثم اشتهر عن يحيى بن سعيد وتفرد به من فوقه. (ينظر للتفصيل فتح الباري 1 / 11)

أما قول الشيخ: "لم يرويا في كتب السنة سوى هذا الحديث، فقد سبق مناقشة هذا الموضوع ولكن الشيخ مولع بتكرار هذه النكتة وكأنه يرى تكرار الباطل من لوازم "التخريج على طريقة المحدثين العلمية المختصرة" التي بدأ بها الكلام في هذا الحديث حسب زعمه.

وأما قوله "فيه راويان شبه مجهولين" فقد سبق أنه زعم أن ياسين العجلي ضعيف. والضعيف لا يقال له مجهول ولا شبه المجهول، وأما ابراهيم بن محمد بن الحنفية فقد سبق أنه زعم أن هذا الراوي "مجهول الحال"، وقد سبق الرد على هذه الادعاءات فلا داعي للتكرار، إذ من المعلوم أن الراوي إذا روى عنه اثنان فأكثر ووثقه إمام فأكثر فقد خرج عن حد الجهالة، فأما ياسين العجلي فقد روى عنه خمسة على الأقل من كبار الأئمة من أمثال سفيان الثوري ووكيع بن الجراح وغيرهما، وثقه أربعة من الأئمة، فمثله لا يقال له مجهول ولا شبه المجهول. ولا مجهول الحال إلا إذا كان للشيخ عداب مصطلح خاص فليحتفظ به.

وأما إبراهيم بن محمد بن الحنفية فقد روى عنه سبعة ووثقه العجلي وابن حبان ولم يجرح فأين الجهالة أو شبه الجهالة إلا في مخيلة الشيخ عداب.

17 – قال الشيخ عداب: "ولو كان هذا البحث الوجيز يحتمل لسطرت له مائة شاهد على أن قول البخاري: "في إسناده نظر" تضعيف للحديث أو للراوي أو لهما معا. (ص **312**)

وهذا من الادعات العريضة للشيخ عداب مع أنه لما أراد أن يسوق الأمثلة ذكر أربعة من أقوال البخاري وأخذ المثال الخامس من قول الأزدي، والأزدي في حد ذاته فيه نظر. ولكن أترك الفرصة للشيخ عداب أن يذكر لنا من كتب البخاري أنه استعمل قوله: "في إسناده نظر" لتضعيف مائة راو أو مائة حديث ليثبت صدق ادعائه وحينذاك سندرس أو يدرس من يوفقه الله لدراسة معنى هذه العبارة عند البخاري بشكل أوسع. مع العلم بأن قوله "فيه نظر" أو "في حديثه نظر" يختلف عن قوله: في إسناده نظر.

18 – قال الشيخ عداب: وهنا أسأل الشيخ البستوي: هل يضعف هذا الحديث بهذا القول بعد هذا البيان أم لا؟

قلت: لا. بل ازددت ثقة في أن هذا الحديث صحيح، لأن الشبهات التي أثارها الشيخ عداب قد تبين أنها غير صحيحة أو أنها مخالفة لقواعد مصطلح الحديث والجرح والتعديل، ومن وثقه أربعة من الأئمة وفيهم ابن معين وأبو زرعة لا يكون ضعيفا لمجرد قول البخاري في إسناده نظر. فهذا القول في هذا المقام الغالب أنه إشارة إلى الاختلاف في رفع الحديث أو وقفه على علي رضي الله عنه، وقد ذكرت أن له في كلا الحالين حكم الرفع، فزال النظر الذي أشار إليه البخاري. ولذلك لم يرو عن أحد من الأئمة والعلماء تضعيف هذا الحديث سوى ما نسبه الشيخ عداب إلى الشيخ شعيب، فهل الشيخ عداب يقلد قول الشيخ شعيب ؟ وهل قوله أقوى من أقوال ابن حجر والسيوطي وأحمد شاكر والألباني؟ على أننا نعرف أن الشيخ شعيبا لم ينفرد بتحقيق مسند الإمام أحمد. بل اشترك معه في هذا العمل خمسة آخرون كما أثبت ذلك على غلاف هذا الجزء الثاني من المسند، فلا نستطيع أن يجزم أن هذا التضعيف من الشيخ شعيب نفسه أو من أحد مساعديه ولا نعرف لهم قدما راسخة في تحقيق الأحاديث، لاسيما أنهم في هذا والجزء الثاني من المسند كانوا في بداية خبرتهم في هذا العمل. فهل الشيخ يعيب على الاستشهاد بقول ابن حجر والسيوطي وأحمد شاكر والألباني. ثم يحتج هو بتقليد من لا يعرف على وجه التحديد ! !

19 – قال الشيخ عداب: "لا يصح أن يقال هنا: الحكم للرفع لأن أكثر الرواة عن ياسين اتفقوا على رفعه وانفرد وكيع يوقفه، لأن هذا يقال بعد تحقق وثاقة المدار من عدالة وضبط، ومن أين يتحقق ذلك ههنا؟" (ص **313**)

قلت: المدار في هذا الحديث هو ياسين العجلي، وقد سبق أن بينت أنه وثقه ابن معين وأبو زرعة وعثمان بن أبي شيبة والفسوى. أفلا يكفي توثيق تبين كل هؤلاء الأئمة في التحقيق من وثاقة المدار. (انظر نصوص أقوال هؤلاء الأئمة في الرد على السقطة الأولى) على أننا لو فرضنا أن هؤلاء الأئمة – ابن معين وأبو زرعة وعثمان بن أبي شيبة والفسوي – لم يعرفوا لياسين العجلي إلا هذا الحديث مثلنا نحن ومع ذلك وثقوه فهذا يعتبر تصحيحا ضمنيا منهم لهذا الحديث نفسه.

20 – قال الشيخ عداب: "الجهة الخامسة ...... فلماذا ترجم العقيلي وابن حبان وابن عدي والذهبي ياسين هذا في الضعفاء إذا كان هذا الراوي غير ضعيف عندهم؟ ولماذا ساقوا حديثه هذا في ترجمته وليس له غيره إذا لم يكن لبيان ضعفه؟ أرأيت علما أشبه بجهل من هذا؟" (ص **313**)

قلت: نعم، فكلام الشيخ هذا هو أشبه بالجهل، ولو صدر هذا الكلام من طالب مبتدئ لكان عيبا، فكيف والشيخ يزعم أنه فقيه في الجرح والتعديل؟

وقد سبق أن ذكرت في الرد على السقطة الثالثة للشيخ عداب، منهج الإمام الذهبي وأنه صرح في مقدمة كتابه أنه يذكر فيه كل من ذكر بتليين ما في كتب الأئمة التي استخرج منها محتويات كتابه الميزان خوفا من أن يتعقب عليه لا لأنه ذكره يضعف فيه عنده. فإن كان كان الشيخ عداب يجهل هذا من منهج الذهبي فهو الجهل بعينه وليس أشبه بالجهل فقط.

وهذا هو منهج ابن عدي أيضا في الكامل، كما نص عليه العلماء، فقد ذكر العراقي ابن عدي فيمن ألف في الضعفاء وقال: ولكنه ذكر في كتابه الكامل كل من تكلم فيه وإن كان ثقة. وتبعه على ذلك الذهبي في الميزان (ألفية الحديث مع شرحها فتح المغيث ط مكتبة السنة، القاهرة ص **462**) وذكر السخاوي كتب الأئمة في الضعفاء، فقال: ولأبي أحمد بن عدي في كامله وهو أكمل الكتب المصنفة قبله وأجلها ولكنه توسع في ذكر كل من تكلم فيه وإن كان ثقة. (فتح المغيث للسخاوي **4 / 352** ط الجامعة السلفية، بنارس، الهند)

بل قد صرح ابن عدي نفسه بذلك، فقال في ترجمة أحمد بن صالح المصري: وأحمد بن صالح فمن أجلة الناس ... ولولا أني شرطت في كتابي هذا ان أذكر فيه كل من تكلم فيه متكلم لكنت أجل أحمد بن صالح أن أذكره. (**1 / 187**)

ويظهر هذا جليا من أسلوب ابن عدي في التراجم حيث إنه يذكر قول من تكلم في المترجم له ثم في آخر الترجمة يبدي رأيه بخلاف من جرح فيقول ان أحاديثه مستقيمة أو ان

لم أجد لم حديثا منكرا أو نحو هذا ومثل هذا كثير في كتابه وقد أعد الدكتور زهير عثمان علي نور صاحب كتاب "ابن عدي ومنهجه في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال" قائمة لأسماء الثقات الذين ذكرهم ابن عدي في كتابه فبلغوا ألفا وواحدا وثمانين شخصا. (**1081**)

وأما العقيلي فلم أعرف منه تصريحا من هذا القبيل فإنه يذكر في كتابه كل من وجد فيه كلاما من متكلم في الجرح والتعديل، ويستلزم ذلك أن يكون ذلك الرجل ضعيفا عنده أو عند غيره من الأئمة.

ولا أدل على ذلك من أنه ذكر في كتابه الإمام على ابن المديني (**3 / 235**) مع تنصيصه على أن "حديثه مستقيم إن شاء الله". وقد أنكر ذلك عليه الإمام الذهبي أشد الإنكار، وما قاله الذهبي: "ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء فبئس ما صنع (الميزان **1 / 138**) وقال أيضا: "قد بدأت منه هفوة ثم تاب منها، وهذا أبو عبد الله البخاري وناهيك بهقد شحن صحيحه بحديث علي بن المديني، وقال: ما استصفرت نفس بين يدي أحد إلا بين يدي علي بن المديني، ولو تركت حديث علي وصاحبه محمد ... وذكر أئمة آخرين نعلقنا الباب، ونقع الخطاب،ولماتت الآثار واستولت الزنادقة، ولخرج الدجال، أخا لك عقل يا عقيلي، أتدري فيمن تتكلم، وإنما تبعناك في ذكر هذا النمط لتذب عنهم ونزيف ما قيل فيهم، كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقاتكثيرين لم توردهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث، وأنا أشتهي أن تعرفني من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه. بل الثقة الحافظ إذاانفرد بأحاديث كان أرفع له وأكمل لمرتبته وأدل على اعتناقه بعلم الأمر وضبطه دون أقرانه لاشيا ما عرفوها، اللهم إلا أن يتبين غلطه ودهمه في الشيء فيعرف ذلك الخ وهو كلام طويل ينبغي أن يكتب بماء الذهب ولولا خوف الطول لذكرت ذلك كله فلينظره في الميزان (**1 / 140**)

وهذه أمور معروفة لدى المشتغلين بعلم الحديث وتعتبر من أبجديات علم الجرح والتعديل، فإن كان الشيخ عداب يجهلهذا فلا يحق لمثله أن يتكلم في الجرح والتعديل أبدا. وإن كان الشيخ يعرف ويغش قراءه فهذا أشد وأوزح. ونسأل الله العافية.

أما كلام ابن حبان فقد سبقت مناقشته في الرد على السقطة الخامسة للشيخ عداب في كلامه في هذا الحديث فيمكن الرجوع إليه.

21 – قال الشيخ عداب: الجهة السادسقة: متابعة سالم بن أبي حفصة لياسين العجلي. هيمتابعة لا قيمة لها لأن الشيخ البستوي قال: في السند إلى سالم من لا أعرفهم. فقد كفينا. (ص 313)

قلت: وأنا لم أستدل بمتابعة سالم بن أبي حفصة في تحسين هذا الحديث بشيء، فالحديث حسن بدون ذلك، والحمد لله.

ولكني وجدت فيما بعد أن أبابكر الطلحي هو عبد الله بن يحيى الطلحي من شيوخ الإمام أبي نعيم الأصبهاني الذين يكثر عنهم وله روايات كثيرة جدا في حلية الأولياء (على سبيل المثال 3/ 308، 4 / 183، 6 / 224، 7 / 238 وغيرها، وكذلك في كتبه الأخرى مثل أخبار أصبهان، ومعرفة الصحابة 1 / 67، حديث 87 تحقيق الدكتور محمد راضي وصفة الجنة وغيرها).

وهو من شيوخ الدار قطني أيضا (سنن الدار قطني حديث 3536، 1735، 1736 طبعة الدكتور التركي، مؤسسة الرسالة)

وهو أيضا من شيوخ الحاكم المستدرك 3 / 74، كتاب معرفة الصحابة، ووقع فيه عبد الله بن محمد الطلحي، وهو خطأ مطبعي) وقال حديث صحيح الاشتعار لم يخرجاه. ووهاه الذهبي لأجل راو آخر.

وروى عنه شيوخ آخرون، فالذين يروى عنه الأئمة من أمثال الدار قطني والحاكم وأبي نعم وآخرين لابد أنه يكون من أهل العلم المعروفين فيزمنه وإن لم أجد له ترجمة مستقلة حتى الآن، والله أعلم.

وأما شيخه محمد بن علي العلوب فالظاهر أنه أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن العلوي الحسني الزيدي الهمذاني الملقب بالوصي.

ولد 10 هـ ومات 393 هـ، قال شرويه: ثقة صدوق صوفي واعظ، له ترجمة في تاريخ بغداد 3 / 90، وسير أعلام النبلاء 17 / 72.

فالظاهر أن مثل هذا الإسناد لا يقل عن درجة المتابعة والاعتبار، والله أعلم.

(يتبع)

* * *

الدعوة الإسلامية

تأصيل المنهج الدعوي
في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح

(2) معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية

ضرورة فهم السلف الصالح في الدعوة:

لذلك كان من المجاهدة المهمة أن يحرص المسلم الداعية على أن يكون دعوته على وفق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم السلف الصالح. لماذا فهم السلف الصالح؟

لأن الله – جل وعلا – قال: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) [1]، وهذا هو الذي جعل الذين اتبعوا الصحابة بإحسان مشمولين بنفس الفضل، أو بالفضل نفسه، فذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان يدخل فيه الصحابة الذين تلوا السابقين، ويدخل فيه من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، وهذا لأجله قال أهل العلم: (السلف الصالح).

من هم السلف الصالح؟

السلف: يعني من سلفنا الصالح.

وهم الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاح. والذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاح هم القرون الثلاثة المفضلة، الذين قال فيهم: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) [2]، وذكر قرنين أو ذكر ثلاثة قرون، وهذا يعني شدة الاستمساك بما كان عليه أولئك، فإذا رأينا ما كان عليه أولئك فإننا نجد أن المنهج الدعوي هو المتصل بالسلف الصالح – رضي الله عنهم –ومن مشى على هذا المنهج من أئمة أهل العلم وأئمة أهل الاجتهاد كسادات التابعين، وتابعي التابعين، والأئمة الأربعة ومجتهدي أهل الإسلام، وعلماء الإسلام إلىوقتنا الحاضر، وجدناهم وإن تباعدوا في بعض المسائل قليلا لكنهم يشتركون في سمات وفي صفات الدعوة.

---

[1] التوبة: 100 .

[2] أخرجه "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب الشهادات – باب لا يشهد على شهادة جور) (2651)، و "مسلم" في "صحيحه" في (كتاب فضائل الصحابة – باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (2533). و "أحمد" في "مسنده" (7 /235).

سمات منهاج الدعوة:

هذه السمات والصفات هي سمات منهاج الدعوة على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

فأول هذه السمات معرفة أن الدعوة إنما هي لله، يعني الإخلاص لله بالدعوة، وأن الدعوة ليست لأحد، وليست لشيخ، ولا لنفس، ولا لقبيلة، ولا لبلد، ولا لمذهب، ولا لطائفة، ولا لجماعة، ولا لحزب،إنما هي تقريب الخلق إلى الله – جل وعلا –، وجعل الخلق يحبون الله – سبحانه – ويعبدونه وحده لا شريك له على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله) [1] .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – على هذه الآية وفيها التنبيه على الإخلاص، لأن من الناس من يدعو لكنه يدعو إلى نفسه، أو إلى شيخه، أو إلى طريقته، أو إلى حزبه، أو فئته.

وهذا واقع، إذا نظرنا اليوم والتمسنا الصواب في ذلك وجدنا أن المتخلص من هذا قليل، ولذلك يجب على الداعية أن ينتبه لنفسه، وأن يحاسب نفسه بين الحين والآخر.

قد يأتي الشيطان، وتأتي أغراض الدنيا وتعرض على الإنسان بين الحين والآخر، ولكن المؤمن رجاع إلى الحق، لا ينفك من رجوعه إلى الله – تعالى – بين الحين والآخر، ويطلب الصواب من الله – سبحانه – ويستغفر ربه – جل وعلا – في الغلط، وعدم الإخلاص أو ضعف الإخلاص في الدعوة إلى الله، لأنه لا ينتفع الناس من دعوتك إلا إذا أخلصت إلى الله – سبحانه وتعالى – لأن الإخلاص به القبول، نعم هناك كلام كثير قد يتحدث به الإنسان، وتلذّ له الآذان لكنه لا يحرك في القلوب صلة بالله، ولا تعظيما لله، ولا يحرك في القلوب تعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولا صلة بالعلم، ولا بأهله، ولا بالرجوع الحق، ولا يحرك في القلوب توبة، ولا إنابة، ولا اتباعا، وانما يزين الكلام في العقول، ويزين في الآذان دون تأثير حقيقي، لأن الكلام إذا صدر من اللسان لا يتجاوز الآذان، وإذا صدر من القلب فإن القلوب تعيه وتعقله.

سمات الدعوة إلى الله تعالى:

الإخلاص:

فأول المسائل وأعظمها أن يكون الداعية مخلصا في عمله، وليحذر أخذ الأجر على دعوته، ليحذر أن يقول بثمن، وأن يتكلم بثمن، وأن يشارك بثمن، وإذا غلب على نفسه شيء

[1] يوسف: 108 .

من ذلك، أو من الحاجة فليراجع نفسه أن يكون مصيبا في قوله، والدعوة تختلف عن تعليم القرآن، الدعوة لها أحكام في ذلك غير تعليم القرآن، لذلك أجاز العلماء أن يأخذ الداعية رزقا لا أجرا، يأخذ مكافأة من بيت المال يقرها ولي الأمر مكافأة غير مشروطة على قيامه بهذا الواجب الكفائي، لأن الله سبحانه وتعالى قال: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [1]، فأمر بأن يكون منا عدد كاف يدعون إلى الخير، فإذا أخذ رزقا يعينه على القيام بذلك، وليس أجرا مقيدا بساعة، أو مقيدا بيوم أو مقيدا بشيء، وليس معينا يطلبه، فإنه لا حرج عليه في ذلك.

البدء بالأولويات:

السمة الثانية: أن تكون الأولويات واضحة عنده في المنهج الدعوي، المنهج الدعوي ما كان على وفق الكتاب والسنة، الأولويات فيه ظاهرة بينة، يعني الأولى فالأولى، الأول فالثاني فالثالث ظاهرة بينة كما في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذبن جبل – رضي الله عنه – حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يوحدوا الله". [2]

وفي الصحيحين [3] قال: فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب".

وهذا الحديث ظاهر الدلالة في أن الدعوة تكون إلى توحيد الله – تعالى – أولا، والتوحيد تكون الدعوة إليه إجمالا وتفصيلا، ويدخل في ذلك كما ذكرنا تعليم العقيدة الصحيحة، ونشر مؤلفاتها وتوزيع أشرطتها، وبيان ذلك للناس في كل مكان عن طريق الوسائل الحديثة: الانترنت، ووسائل الإعلام، والقنوات إلى آخر ذلك، فإن هذا من أعظم القربات التي نقتدي فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم.

إبطال المنكرات والبدع:

---

[1] آل عمران: 104 .

[2] أخرجه "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى) (7372).

[3] أخرجه "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا) (1496)، وانظر (1458، 4347، 7372).
وأخرجه "مسلم في "صحيحه" في (كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) (19).

السمة الثالثة: الحرص على الاتباع وعدم الابتداع، لأن الزمن قد يؤدي بالمرء إلى أن يحدث بدعا في الدعوة، لماذا؟ لأن الداعية حريص على جلب الناس إلى الله – تعالى –، يريد أن ينجح في دعوته، يريد أن يوصل للناس الرسالة، فحرصه على الخير هذا قد يجلبه إلى أن يبتدع في الدعوة أشياء لم يأذن الله بها، ولم يدل عليها دليل، وكثير من الناس تختلط عليهم المصالح في الدعوة بوجوب الاتباع، يظنون أن كل مصلحة ظهرت فإنها يسوغ العمل بها، وهذا ليس بصحيح، فالمصالح المتوخاة التي دعت إليها الشريعة هي المصالح التي دل عليها الدليل، أو المصالح الاجتهادية التي لا يكون فيها مضاهاة للشرع، أو تؤول إلى ما لا يحمد في الشرع، فإذاكان في المصالح ابتداع أو كان فيها خروج عن الإخلاص، أو ذهاب إلى عدم لزوم الأولويات في الشرع فإن هذا باطل، مثل من يقول: إننا نريد بالدعوة السياسة، أما الأمور الأخرى فدعها بعد ذلك، ومثل من يقول: المهم في الدعوة السلوك، حين نربي الناس على الزهد والفضائل وهم في الدين لا يفقهون، وهم في التوحيد ضعاف ربما جهلوا، وربما مارسوا بعض البدع والمحدثات، فهذا خروج عن قاعدة الدعوة التي سار عليها السلف الصالح أنه لابد من الاتباع والحذر من الابتداع، ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام – في الحديث المتفق على صحته من حديث عائشة: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".[1]

(ردٌّ) يعني مردود على صاحبه.

وقوله: (في أمرنا هذا) الدعوة داخلة في هذه الإضافة، لأنها من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ومن أمر الدين، فمن أحدث في الدعوة ما ليس من الإسلام وما ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وما ليس مقربا من أهل العلم فهومردود على صاحبه.

الاعتناء بالعلم في الدعوة:

السمة الرابعة: من سمات المنهج الدعوي المؤصل على الكتاب والسنة: الاعتناء في التربية بالعلم.

هناك من يعتني في التربية الدعوية بالسلوكيات، أو يعتني في أن يفهموا الواقع المحلي، أو الواقع الدولي، أو أن يفهموا محاسن الإسلام، أو أن يفهموا التقارير المتعلقة بأوضاع الحكام، أو الدول، أو المستجدات، ويمضي على هذا الأمر سنون دون تغيير، ودون أن يرفع أو يغير في منهاج دعوته.

[1] أخرجه "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فهو مردود) (2697)، و "مسلم" في "صحيحه" في (كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) (1718)، وفي رواية لمسلم: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد".

هذا فيه ضرر بين على المدعوّين لأنك تدعو هذا الإنسان إلى ربه، فإذا كنت تدعوه إلى ربه فإنما ينجو يوم القيامة من أتى الله بقلب سليم، لا بعقل متنور، ولا بعقل يفهم المستجدات، ولا بعقل يفهم العصر وأحواله، والوقائع السياسية، حتى أصبح بعض الدعاة أو بعض من يهتم بالدعوة يتابع الأخبار السياسية أكثر من مراجعته لكلام أهل العلم، وللقرآن وللتفسير، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكتب السنة، وكلام المجتهدين من أهل العلم. في هذا ضرر بالغ على الداعية في نفسه، وعلى المدعوين، لذلك كان من المهم أن يكون في الدعوة عناية بالعلم النافع، وأن يكون عناية بالتربية، بل أول درجات التربية وأول ما يُهتم به التربية العلمية بمعرفة المدعو بالقرآن، وحفظه لما تيسر منه، وحفظه للسنة، والالتزام بها، ومعرفة الفرق بين السنة والبدعة، والتحرر من الابتداع، والعناية بالعلم المؤصل، العلم المرتبط بالقرآن والسنة.

العناية باللغة العربية:

السمة الخامسة: هناك مسألة متصلة بمنهج السلف الصالح في الدعوة والعلم، وهي العناية باللغة العربية.

القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين، فكيف نفقه القرآن؟

نفقه أخباره، نفقه أوامره، ونواهيه وحدوده، ووعده ووعيده، كيف نفقه ما قص الله علينا به؟ كيف تحرك به القلوب؟

إنما هو باللغة العربية [1]، لذلك كان السلف الصالح إذا دعوا إلى الله في أي بلد من البلاد التي فتحوها بالعلم والقرآن قبل السيف والسنان، فإن أول ما يعلمون الناس اللغة العربية، لذلك انتشرت اللغة العربية، وفقه اللغة العربية حتى كان من أبناء الأمم الأخرى من أصّل لنا قواعد اللغة العربية، وذلك لعنايتهم بها، وشدة اهتمامهم بها، لهذا تجد اليوم الصالحين

---

[1] عقد "أبو القاسم الزجاجي" 337 هـ، في كتابه "الايضاح" (95)، بابا، ذكر فيه الفائدة في تعلم النحو، قال فيه:
فإن قال قائل: فما الفائدة في تعلم النحو، وأكثر الناس يتكلمون على سجيتهم بغير إعراب، ولا معرفة منهم به، فيفهمون ويفهمون غيرهم مثل ذلك.
فالجواب: الفائدة فيه: الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة، صوابا غير مبدل ولا مغير.
وتقويم كتاب الله – عز وجل – الذي هو أصل الدين والدنيا. ومعرفة أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، وإقامة معانيها على الحقيقة، لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب. قال الله – عز وجل – في وصف كتابه: (إنا أنزلناه قرآناعربيا) (يوسف: 2)، وقال: (بلسان عربي مبين) (الشعراء:195)، وقال: (قرءانا عربيا غير ذي عوج). فوصفه بالاستقامة كما وصفه بالبيان في قوله: (بلسان عربي مبين)، وكما وصفه بالعدل في قوله: (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) (الرعد: 37).

من أهل العلم في مشارق الأرض ومغاربها يحرصون على تعليم الناس هذه اللغة العربية، لماذا؟ ليس لأنها لغة العرق العربي، والجنس العربي، لا، بل لأنها لغة الإسلام، ولغة القرآن ولغة الفقه عن الله – جل وعلا – وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا العناية بتعليم اللغة العربية هذه من سمات السلف الصالح في منهاج دعوتهم، لا يدعون بلغات الأقوام، ويتركون الناس لا يفقهون، يقول تعالوا أنتم يعلمونهم أشياء من الإسلام ويقول: ادع إليها بلغاتكم ويتركونهم، إنما يعلمونهم باللغة العربية على قدر الإمكان، ولا يمكن أن يكون داعية بصيرا في دعوته من لا يعلم اللغة العربية [1]، وهذا مما يؤكد أن يعتني الدعاة اليوم في المراكز الإسلامية، وفي المؤسسات والجمعيات في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتنوا في العلم والعمل باللغة العربية، فإنه لا قوة للإسلام إلا بقوة أهل العلم وأهل الدعوة، ولا قوة لأهل العلم ولا لأهل الدعوة إلا بقوتهم في اللغة العربية، فإذا أصبنا في اللغة العربية فهما واستنباطا، أونطقا وتحدثا، فإننا سنصيب في فهمنا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن المسائل التي كانت من سمات السلف الصالح أنهم كانوا ينضبطون علميا في المسائل التي يتناولونها، العلم واسع، وكتبه كثيرة، وتلقيه ليس بالسهل، فلابد من الاتسام بالانضباط العلمي.

(يتبع)

* * *

[1] قال "الشاطبي" في "الموافقات" (5 / 53):
"إن هذه الشريعة عربية، وإذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم".

أسرار الشريعة

الصوم لي

الشيخ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل
المدرس بقسم العقيدة بجامعة الإمام بالرياض

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد:

فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله عز وجل: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، الصيام جنة فلا يرفث ولا يصخب وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به".

فما معنى قوله "الصيام لي وأنا أجزي به" لقد تنوعت عبارات العلماء في ذلك، واختلفت، وهي من قبيل اختلاف التنوع الذي يجمعها معنى واحد لا اختلاف فيه، فمن قولهم لذلك أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما قد يقع في غيره من الأعمال، وذلك أن الصوم يُبنى على السر حيث لا يراك أحد من الناس أو ممن يشاهدك وأنت ممتنع عن الطعام والشراب، بينما الصلاة أو الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو قراءة القرآن أو سائر الأعمال يتعرض فيها عملك إلى رؤية الناس فيك، وأنت تعملها، أما الصوم فهو في نيته وفي قصده وفي الامتناع عن الطعام والشراب وعن الجماع وأسبابه، تمتنع في ذلك ولا يراك أحد في حال امتناعك، وإنما عملك لا يكون فيه علم لغيرك إلا إذ أعلمتهم أنك صائم، ولقد أورد البيهقي في شعب الإيمان من عدة وجوه عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله "الصيام لا رياء فيه" قال الله عز وجل "هو لي وأنا أجزي به" ولكن هذا الحديث فيه ضعف [1] ضعّف إسناده الحافظ أعني الحافظ ابن حجر رحمه الله، ومعنى قوله "لا رياء في الصوم" أنه لا يدخله الرياء بفعله وإن كان قد يدخله الرياء في القول كما يخبر أنه صائم، أو يصوم ثم يخبرأنه صائم فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية، فدخول

[1] وعلته الانقطاع بين الزهري وهو محمد بن مسلم بن شهاب وبين أبي سلمة.

الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار بخلاف بقية الأعمال كما في الصلاة والزكاة والحج وقيام الليل والاستغفار، وزكى الله عزوجل وغيرها من الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعل الفاعل لها، فلهذا صار للصوم هذه الخصوصية من هذه الحيثية وبهذا الاعتبار أنه لا يدخله الرياء ابتداءا إنما يدخله من جهة الإخبار به كي يتباهى أو يفتخر أن يرائي فيقول إني صائم، فعلى المؤمن أن يدافع هذا الأمر عن نفسه مدافعة، فإن صام أخفى صومه وإن ألزم بالأكل والشراب وكان صائما فرضا فليدافع ذلك، فإن لم يستطع في ذلك إلا أن يخبر فالأمر في ذلك لا بأس به، وذلك أن أمر الرياء وشأنه في الدين شأن خطير، إذ الرياء قادح من قوادح التوحيد، ولهذا عقد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه "كتاب التوحيد" الذي هو حق الله على العبيد بابا سماه باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، وصدر هذا الباب وترجم عليه قول الله عز وجل من سورة هود: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) [هود: 15 – 16] كما ترجم فيها قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، فإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله إذا كان في الساقة، كان في الساقة وإذا كان في الحراسة كان في الحراسة، أشعث رأسه مغبرة قدماه إن استئذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع".

ومن معاني قوله صلى الله عليه وسلم الصيام لي وأنا أجزي له عن الله عز وجل، قيل إنما المراد بذلك أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، أما باقي العبادات فقد جعلت عليها حسنات ومثوبة أعلمتها للناس ربما يطلع بعضهم عليها ويعد لهذا ما في الرواية التي رواها في الموطأ وكذا رواها الأعمش عن أبي صالح حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثاله إلى سبع مائة إلا ما شاء الله ، قال الله عز وجل "إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" كما يشهد لذلك المعنى ما رواه المسيب عن رافع عن أبي صالح بلفظ إلى سبع مائة ضعف إلا الصوم، فإنه لا يدري أحد ما فيه، ويشهد له أيضا ما رواه عبد

الله بن وهب الفهري القرشي في جامعه عن محمد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن جده زيد مرسلا ووصله الطبراني وغيره والبيهقي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا "الأعمال عند الله سبع وفيه عمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل، ثم قال وأما العمل الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله الصيام".

ومما جاء في قوله "وأنا أجزي به" أن الكريم الغني إذا قال أنا أتولى الإعطاء بنفسي كان ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه، والله سبحانه وتعالى هو أكرم الكرماء وأغنى الأغنياء، ففي قوله "الصوم لي وأنا أجزي به" إشارة إلى تفخيم وتعظيم المثوبة التي رتبها الله عز وجل بمن صام وحسن صيامه، ومما قيل في قوله الصوم لي أي أنه أحب العبادات إليّ وهو المقدم عندي. وقد قال في ذلك الحافظ ابن عبد البر كفى بقوله صلى الله عليه وسلم (لي) فضل بالصيام على سائر العبادات، ومما قيل في قوله "الصوم لي وأنا أجزي به" أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب عز وجل، وهذا معنى معتبر، ومما قيل في ذلك أن سبب إضافة الصوم إلى الله أن الصيام لم يُعبد به غير الله سبحانه وتعالى البتة بخلاف الصيام والصدقة والذبح والنذر والطواف وغير ذلك فإنها ربما تشرك بها مع الله عز وجل، فإنه ربما يصلي الإنسان مرائيا وربما يتصدق رياء، وربما يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله كما يفعله عباد الأضرحة وعباد القبور، وربما يطوف بمكان غير الكعبة رياء وسمعة فيكون في العمل شرك من هذه الحيثية والناحية، أما الصيام فإنها عبادة لم يذكر أنها تقرب بها إلى غير الله عز وجل.

وقوله عليه الصلاة والسلام "الصوم لي وأنا أجزي به" إنما اتفق العلماء على أن المراد بالصوم هنا هو صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا، ووافق صيامه هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون الصوم بهذا الاعتبار جامعا بين شرطي العبادة، أولها الاخلاص لله عز وجل وثانيا المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، إذا علمنا هذا أيها الإخوة فإن هذا يوجب في الحقيقة الحذر من أن يقصد الإنسان بقوله أو عمله غير الله عز وجل أو ما يوجب مرضاته عز وجل فلا يكون هم لطاعته وبقربته التي يتقرب بها إلا وجه الله والدار الآخرة، لا يكون لغير الله حظ من عمله الذي هو قربة، كما في ذلك التنبيه على وجوب مراعاة النية في العبادة

واستشعار قصد التقرب بها إلى الله عز وجل طاعة لأمره وامتثالا لفرضه، وهو الكتب بقوله تعالى من سورة البقرة: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) [البقرة: 183).

فلا يكون قصده في عبادة الصوم العادة، حيث اعتاد هو وأهله ومجتمعه الصوم، فهو يوافقهم على ذلك عادة لا عبادة، دون استحضار معنى العبادة، فإن هذا أمر قد يغفل عنه بعض الناس، والواجب الانتباه إلى هذه، فإن الصوم إذا كان عادة من العادات، أو كان لأمر طبي، أو غيره، فصام لذلك لا يكون له حظ من العبادة، أما إذ نوى وعقد العزم في نيته أنه إنما يصوم عبادة لله وتقربا لوجه الله وابتغاء لما عند الله مما رتبه من الثواب العظيم على هذا الصوم كانت نيته ههنا نية صالحة. فالنية أيها الإخوة في الصوم لابد منها ولابد من تصميمها، ولابد من تنقيتها من شوائب ربما تؤثر فتقدح في كمال التوحيد أو ربما تقدح في أصله، فلابد أن تكون تلك النية في الصوم هي بقصد التقرب إلى الله تعالى تعبدا في هذا الفرض الذي افترضه علينا. وذلك أن الله فرض الصوم فريضة في السنة الثانية من الهجرة، فرخص الله فيه على الناس ما كان واجبا عليهم من صيام عاشوراء، وأوجب عليهم صيام شهر رمضان، أوجبه من دخوله برؤية العبد له وأوجبه إلى خروجه برؤية العبد له لهلال شوال شهرا كاملا سمي شهر رمضان، لأن هذا الشهر وافق شهرا حارا، وترمض فيه الفصال، وترمض فيه المخلوقات من شدة الحرارة فسُمّي رمضان. ورمضان يدور ولله الحمد في أشهر السنة فيكون في الصيف ويكون في الشتاء، ويكون في فصل بين الفصلين. أسأل الله عز وجل أن يمنحني وإياكم الفقه في دينه وأن يرزقنا الثبات عليه وأن نكون في صومنا وفي سائر عبادتنا متقربين بها إلى الله مبتغين بها ما عنده لا نريد بذلك جاها ولا رياءا ولا سمعة ولا شيئا غير وجه الله سبحانه وتعالى، وأن يجعل أعمالنا لوجهه خالصة يبغون بها رضاء الله سبحانه وتعالى، ويطمحون بها إلى جنانه مرضاته، فينالون يوم القيامة ما رتب الله لهم عليها من الثواب، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى ا لله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

***

مكانة الصحابة

رحماء بينهم
التراحم بين آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وبين بقية الصحابــة رضي الله عنهم أجمعين

(2)

الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش

المبحث الثاني
المصاهرة

أيها القارئ الكريم! ابنتك فلذة كبدك،وثمرة الفؤاد، تجعلها عند من؟ هل ترضى أن تجعلها عند فاجر مجرم بل قاتل أمها أو أخيها؟ ماذا تعني لك كلمة صهري ..نسبي؟

المصاهرة لغة: مصدر صاهر، يقال: صاهرت القوم إذا تزوجت منهم، قال الأزهري: الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم كالأبوين والإخوة ... إلخ ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضا.

فصهر الرجل قرابة امرأته، وصهر المرأة قرابة زوجها.

الخلاصة: إن المصاهرة في اللغة: قرابة المرأة وقد تطلق على قرابة الرجل، وقد جعلها الله جل سبحانه من آياته، قال الله تعالى: (هو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا) [سورة الفرقان].

تأمل في الآية وكيف أن ذلك الإنسان (بشرا) جعله الله يرتبط بغيره بالنسب والمصاهرة، فالمصاهرة رباط شرعي جعله الله قرين النسب، والنسب هم قرابة الأب، ومن العلماء من يرى أن النسب مطلق القرابة.

فتذكر أن الله قرن بين النسب والصهر، وهذا له دلالات عظيمة فلا تغفل عنها.

المصاهرة تاريخيا: للمصاهرة لدى العرب منزلة خاصة، فهم يرون التفاخر بالأنساب، ومنه التفاخر بأزواج بناتهم ومنزلتهم. والعرب لا يزوّجون من يرونه أقل منزلة منهم، هذا هو المشهور عنهم، بل يوجد ذلك لدى طوائف كثيرة من العجم، ويعتبر التميّز العنصري اليوم أشد المشاكل الاجتماعية لدى الغرب.

والعرب تغار على نسائها مما قاد بعضهم إلى وأد بناته الصغيرات خوفا من العار، كانت تراق الدماء وتنشب الحروب لأجل ذلك. ولا تزال آثارها إلى اليوم باقية كما لا يخفي عليك أيها القارئ، وهذه إشارة تغني عن طول العبارة.

المصاهرة في الإسلام: جاء الإسلام فقرر معالي الأمور، فأمر بالصفات الحميدة ونهى عن القبيح، وبيّن الله سبحانه وتعالى أن العبرة بالتقوى، قال الله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات: 13] وهذا في الميزان الشرعي.

وتجد الفقهاء رحمهم الله قد بحثوا موضوع الكفاءة في الدين والنسب ولحرفة وما يتعلق بها في مباحث مطولة، ومنها: هل تعتبر الكفاءة شرطا لصحة العقد أو لزومه، وهل هي حق للزوجة أو يشاركها الأولياء؟ وغير ذلك من المباحث في كلامهم عن النكاح.

أما في مسألة صيانة العرض والغيرة على النساء فإن النبي صلى الله عليه وسلم جعل المقتول دون عرضه شهيدا، وقاد الحرب بنفسه صلى الله عليه وسلم لأجل المرأة التي عبث اليهود بسترها، والقصة مشهورة في نقض بني قينقاع العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلاصتها أن يهوديا طلب من فتاة تشتري منه ذهبا أن تكشف عن وجهها فرفضت، فقام بعقد طرف ثوبها وهي جالسة لا تشعر، فلما قامت انكشفت، فصرخت تطلب الغوث، وكان بالقرب منها شاب مسلم فقام إلى اليهودي فقتله واجتمع اليهود عليه فقتلوه، مع أسباب أخرى ظهرت منهم دلّت على نقضهم العقد.

أيها القارئ الكريم! تأمل في بعض الأحكام الشرعية مثل اشتراط الولي في عقد النكاح والإشهاد عليه، بل وحد القذف، وحد الزنا، وغيرها من الأحكام التي فيها حفظ العرض، ومن خلال التفكير في تلك الأحكام وما فيها من حِكم وآثار، وما فيها من تشريعات بديعة يظهر لك أهمية هذا الموضوع.

والمصاهرة تترتب عليها الأحكام الكثيرة، وتأمل في تشريع عقد النكاح (الميثاق الغليظ): يقوم الرجل بالخطبة ولها أحكامها، فقد يُقبل أو يرد، ويستعين الخاطب بأهله وأصحابه لأجل الحصول على الموافقة، ويسأل الأهل وأولياء المرأة عن الخاطب، ولهم الحق في قبوله أو رده، حتى ولو دفع هدايا أو عجّل بدفع المهر ونحو ذلك فلهم رد الخاطب ما دام العقد لم يتم.

والعقد لابد فيه من شهود، وإشهار النكاح مطلب شرعي، لماذا؟ لما يترتب على النكاح من أحكام، فهو يقرب البعيد ويجعلهم أصهارا، ويحرم على الزوج نساء بسبب النكاح على التأبيد، أو ما دامت الزوجة بذمته، ولا يسمح منهج هذه الرسالة بإطالة البحث، وإنما المقصود التذكير بأهمية الموضوع لأجل ما بعده .. فتأمل في الآتي:

المثال الأول: أخت الحسن والحسين زوّجها أبوها علي عليهم السلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فهل نقول بأن عليا عليهم السلام زوج ابنته خوفا من عمر ؟! أين شجاعته؟

وأين حبه لابنته ؟؟ أيضع ابنته عند ظالم ؟؟ أين غيرته على دين الله؟ أسئلة كثيرة لا تنتهي، أم نقول: إن عليا عليهم السلام زوّج ابنته لعمر رغبة في عمر وقناعة به، نعم. تزوج عمر ببنت علي عليهم السلام زواجا شرعيا صحيحا لا تشوبه شائبة [1] ويدل هذا الزواج على ما بين الأسرتين من تواصل ومحبة، كيف لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجا لبنت عمر ؟! فالمصاهرة قائمة بين الأسرتين قبل زواج عمر بأم كلثوم.

المثال الثاني: يكفي قول الإمام جعفر الصادق عليهم السلام: "ولدني أبو بكر مرتين" هل تعرف من هي أم جعفر ؟ إنها فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. [2]

أيها اللبيب! لماذا قال جعفر عليهم السلام (أبوبكر) ولم يقل محمد بن أبي بكر؟ لقد صرح باسم أبي بكر، لأن بعض الشيعة ينكر فضله، وأما ابنه محمد فالشيعة متفقون على فضله، فبالله عليك بمن يفتخر الإنسان ؟!

أيها القارئ الكريم! التداخل بين أنساب الصحابة من المهاجرين والأنصار يعرفه كل من له اطلاع على أنسابهم، حتى الموالي منهم، فقد تزوجوا من سادات قريش وأشرافهم، فهذا زيد بن حارثة رضي الله عنه – وهو الصحابي الوحيد الذي جاء ذكر اسمه في القرآن في سورة الأحزاب — من هي زوجته ؟ إنها أم المؤمنين زينب بنت جحش.

وهذا أسامة بن زيد زوّجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بفاطمة بنت قيس وهي قرشية[3]. وهذا سالم مولى، زوّجه أبوحذيفة رضي الله عنه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة ووالدها سيد من سادات قريش. [4]

والحديث عن المصاهرة بين الصحابة يطول جدا، وأكتفي بذكر أمثلة يسيرة في التزاوج بين آل البيت والخلفاء الراشدين:

هل تعلم أن سيدنا عمر رضي الله عنه تزوج بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وعلى أبيها أفضل الصلاة والسلام ؟

أم جعفر الصادق عليهم السلام سبق ذكرها، ومن هي جدته الكبرى ؟ كلتاهما حفيدة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أيها القارئ الكريم! دع عنك وسوسة الشياطين، وعليك بالتفكير الجاد والعميق، فأنت مسلم ومنزلة العقل لا تخفى عليك، والآيات التي فيها الحث على التدبر والأمر بالتفكر كثيرة وليس هنا محل بسطها.

---

[1] وسوف أذكر لك نقولات عن علماء الشيعة تؤكد هذا الزواج وترد على كل المطاعن.
[2] وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. انظر: عمدة الطالبين (195) ط طهران، والكافي (1/ 472).
[3] رواه مسلم عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: (2 / 1114 – 1119) (1480).
[4] رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: 4 / 1469، 5 / 1957) (3778، 4800).

لذا علينا أن نفكر بعقولنا، ونترك التقليد، ولنحذر أن يعبث العابثون بعقولنا، نعوذ بالله السميع العليم من شياطين الإنس والجن.

أيها القارئ الحبيب! هل ترضى أن يُسب أبوك وأجدادك وأن يقال: إن سيدة نسائك تزوجت بالرغم عن أنوف عشيرتك كلهم؟

هل ترضى أن يقال بأن ذلك فرج غصبناه ؟؟ الأسئلة لا تنتهي، أي عقل يرضى بهذا الهراء؟! وأي قلب يقبل هذه الرواية ؟!

فنسأل الله أن لا يجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، اللهم ارزقنا محبة الصالحين من عبادك أجمعين، اللهم آمين يا رب العالمين.

وقبل المبحث الثالث: إليك بعض النصوص من كتب الشيعة المعتمدة لديهم ومن علمائهم المعتبرين التي فيها إثبات زواج عمر من أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه.

قال الإمام صفي الدين محمد بن تاج الدين (المعروف بابن الطقطقي الحسني (ت: 709 هـ) نسابة ومؤرخ وإمام) في كتابه الذي أهداه إلى أصيل الدين حسن بن نصير الدين الطوسي صاحب هولاكو وسمي الكتاب باسمه – قال في ذكر بنات أمير المؤمنين علي عليهم السلام: (وأم كلثوم أمها فاطمة بنت رسول الله تزوجها عمر بن الخطاب فولدت له زيدا ثم خلف عليها عبدالله بن جعفر) (ص: 58).

وانظر كلام المحقق السيد مهدي الرجائي فقد نقل نقولات ومنها تحقيق العلامة أبي الحسن العمري – نسبةإلى عمر بن علي بن الحسين – في كتابه المجدي، قال: (والمعول عليه من هذه الروايات ما رأيناه آنفا من أن العباس بن عبد المطلب زوجها عمر برضى أبيها عليهم السلام وإذنه، وأولدها عمر زيدا).

وذكر المحقق أقوالا كثيرة منها: أن التي تزوجها عمر شيطانة أو أنه لم يدخل بها أو أنه تزوجها بالقوة والغصب ... إلخ.

وقال العلامة المجلسي: (.... وكذا إنكار المفيد أصل الواقعة، إنما هو لبيان أنه لم يثبت ذلك من طرقهم، وإلا فبعد ورود تلك الأخبار وما سيأتي بأسانيد أن عليا عليهم السلام لما توفي عمر أتى أم كلثوم فانطلق بها إلى بيته وغير ذلك مما أوردته في كتاب بحار الأنوار، إنكار عجيب والأصل في الجواب هو أن ذلك وقع على سبيل التقية والاضطرار .. إلخ) (ج 2 ص 45 من مرآة العقول).

قلت: قد ذكر صاحب الكافي في كافيه عدة أحاديث منها – باب المتوفى عنها زوجها المدخول بها أين تعتد وما يجب عليها –: حميد بن زياد عن ابن سماعة عن محمد بن زياد عن عبد الله بن سنان ومعاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليهم السلام قال: سألته عن المرأة المتوفى عنها زوجها أتعتد في بيتها أو حيث شاءت؟ قال: بل حيث شاءت، إن عليا عليهم

السلام لما توفي عمر أتى أم كلثوم فانطلق بها إلى بيته). (انظر: الفروع من الكافي ج **6** ص **115**)

أيها القارئ الكريم! لقد خاطبت بعض علماء الشيعة المعاصرين عن الزواج، ومن أجمل الردود ما سطره قاضي محكمة الأوقاف والمواريث الشيخ عبد الحميد الخطي، قال ما نصه: (وأما تزويج الإمام علي عليهم السلام فارس الإسلام ابنته أم كلثوم فلا نشاز فيه، وله برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لكل واحد من المسلمين، وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة رضي الله عنها بنت أبي سفيان، وما كان أبو سفيان بمنزلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما يثارحول الزواج من غبار فلا مبرر له على الإطلاق.

وأما قولكم: إن شيطانة تتشكل للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتقوم مقام أم كلثوم، فهذا قول مضحك مبك، لا يستحق أن يعنى به ولا يقام له، ولو تتبعنا مثل هذه الخرافات التي تنسج، لرأينا منها الشيء الكثير الذي يضحك ويبكي. اهـ

ولم يتعرض الشيخ لقضية البحث، وهي دلالة المصاهرة في الترابط الأسري وأنها لا تكون إلا عن قناعة، وأن فيها دلالة على المحبة والأخوة والتآلف بين الأصهار.

ولا يخفى عليك أيها القارئ الكريم أن الفرق في غاية الوضوح بين زواج المسلم من كتابية: فهذا جائز، وأما زواج الكتابي من مسلمة فإنه لا يجوز ... فتأمل ذلك.

الخلاصة: إن المصاهرة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غاية الوضوح، ولاسيما بين ذرية الإمام على عليهم السلام وذرية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وكذلك المصاهرة مشهورة بين بني أمية وبين بني هاشم قبل الإسلام وبعده، وأشهرها زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من بنت أبي سفيان رضي الله عنهم.

والمقصود هنا الإشارة إلى شيء من الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن المصاهرة والتي من أعظمها المحبة بين الصهرين، وإلا فإن الآثار كثيرة، ولعل فيما سبق كفاية وغنية عما لم يُذكر، وبالله التوفيق. (يتبع)

***

التوجيه الإسلامي

معالم إلى أئمة المساجد

د. عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين .. وبعد:

فمعاشر المسلمين! إن للمسجد في الإسلام منزلة عظيمة ومكانة رفيعة وضع الشارع له أحكاما تحفظ حرمته لتعرف مكانته. فخصه بالتحية قبل الجلوس ومنع من اتخاذه طريقا إلا لذكر أو صلاة، ونهى عن البيع والشراء فيه إلى غير ذلك من أحكام المساجد، ومع هذا كله فيزيد فضله وشرفه بأنه مجمع الناس لأداء الفرائض بخاصة وغيرها عامة، وهو مجتمع الناس لحلق العلم ومدارسته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (وكانت المساجد مجامع الأمة ومواضع الأئمة. وقد أسس صلى الله عليه وسلم مسجده المبارك على التقوى فكانت فيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب. وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون كلما حزبهم أمر من أمر دينهم ودنياهم ..) انتهى كلامه رحمه الله.

معاشر المسلمين:

وإذا كان دور المساجد بهذه المثابة والأهمية كان لزاما أن يقال إن أولى الناس باستشعار تلك المنزلة هم أئمة المساجد الذين هم رمز اجتماع المسلمين، يصلون خلفهم كل يوم خمس مرات من الفرائض، ناهيك عن النوافل وذوات الأسباب.

شاهد المقال أن منزلة الإمامة في المسجد مخصوصة بمزيد عناية ترغيبا وترهيبا، ذلكم لأن نفع الأئمة وتقصيرهم ليس مقصورا عليهم، بل يتعدى إلى غيرهم ممن يصلي خلفهم. لذا كثرت النصوص في هذا المقام.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين" أخرجه الإمام أحمد وأبوداود والترمذي.

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أمَّ قوما فإن أتمَّ فله التمام ولهم، وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم" أخرجه الإمام أحمد وأبوداود وابن ماجه.

وعن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون" أخرجه الترمذي وله شاهد عند ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

معاشر الأئمة:

إن من أعظم ما ينبغي للإمام أن يتمثّل به القدوة الحسنة في التعامل مع جماعة مسجده وذلك بمعرفة حق عالمهم وتوقير كبيرهم والشفقة على صغيرهم وعيادة مريضهم وزيارة مقصرهم والحرص على مناصحته مكاتبة أو مهاتفة أو مشافهة.

معاشر الأئمة:

اعلموا رعاكم الله تعالى أن قدوتكم وصوابكم يتأثر به سامعكم وشاهدكم ومن بلغه أمركم، فالمطيع يزداد طاعة والمقصر يقبل على الطاعة، فاحرصوا حفظكم الله تعالى على تمثل القدوة الطيبة في جميع شأنكم، احرصوا على ذلك كله.

ثم احذروا مما يشين سمعتكم، فإن خطأكم وسوء فعالكم يتعدى ضررها إلى غيركم ممن شاهدكم أو سمع عنكم. فاحذروا ذلك كله وإياكم وسوء الخلق.

احذروا أن يجعلكم الناس مضغة في ألسنتهم، وفاكهة في مجالسهم يذكرون معايبكم. فيُلقى بغضكم في قلوب الناس، فيتثاقلون الصلاة خلفكم ولا يتأثرون بشخصكم ولا يصغون لوعظكم وعلمكم. بل يتسابقون إلى القيام عند سماع حديثكم ونصحكم.

معاشر الأئمة:

اعلموا رعاكم الله تعالى أن لكم مكانة فحافظوا عليها ألا تتقهقر، وسمعة فاحرصوا عليها ألا تُدنَّس.

ارتضاكم جماعتكم لدينهم، فكونوا عند حسن ظنهم بل أحسن من ظنهم.

كونوا مستشعرين لأمانة الإمامة، حافظوا على القيام بها على أكمل صورة وأتمها.

تحروا السنة في أقوال الصلاة وأفعالها. تمثلوا في صلاتكم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي" أخرجه البخاري.

أعطوا الصلاة حظها من الركوع والسجود، وإياكم والعجلة في أدائها، فإن ذلك من نقرها، ونقر الصلاة منهي عنه، ومن زعم أن ذلك من مراعاة حال المأمومين فقد خالف الصواب والتخفيف المأمور به راجع إلى السنة.

قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويكملها).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (فوصف صلاته صلى الله عليه وسلم بالإيجاز والتمام، والإيجاز هو الذي كان يفعله لا الإيجاز الذي كان يظنه من لم يقف على مقدار صلاته. فإن الإيجاز أمر نسبي إضافي راجع إلى السنة لا إلى شهوة الإمام ومن خلفه) انتهى كلامه بتصرف.

معاشر الأئمة:

ليكن مظهر الإمام لائقا بعظمة من يقف بين يديه، فليحرص الإمام على نظافة ملبسه ومظهره وطيب رائحته والتسوك قبيل الصلاة، فذلك من التزين المأمور به (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد)، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أحق من تزين له".

ففي التزين المشروع مرضاة الله تعالى ومجلبة للخشوع ومدعاة لتأثر المأمومين بإمامهم.

معاشر الأئمة:

احرصوا على تسوية الصف أو الصفوف فلا يكفي مجرد الالتفات أحيانا، بل مروهم بالاستواء والتراص ومروا المتقدم بالتأخر والمتأخر بالتقدم، حثوهم على التراص في الصف وسد الخلل.

فذلك من تمام الصلاة وكمالها كما قال صلى الله عليه وسلم: "سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة" أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه.

احرصوا معاشر الأئمة على قراءة ومعرفة وصف الصلاة النبوية، ومن تمَّ تطبيقها قولا وعملا، قال صلى الله عليه وسلم: "من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه".

معاشر الأئمة:

كونوا حرّاسا على أبواب الشريعة أن تُدنَس، بادروا بقراءة ما يحذر من البدع عند ظهورها، وما يحدث من المنكرات عند فشوها.

حذروا من تلك النشرات الباطلة المتضمنة للأخبار الكاذبة.

استشعروا الثغر الذي أنتم عليه، وليكن علمكم وتنبيهكم دواءا للداء قبل سريانه، والجامع لذلك أن تكونوا على بصيرة من الأمر ولا يكون ذلك إلا بالعلم الشرعي.

معاشر الأئمة:

إن للمساجد مناشط كثيرة إذا قام بها الإمام أثمرت وآتت أكلها، ومن تلك المناشط: تفقد المحتاجين من جيران مساجدكم فاسعوا معاشر الأئمة جاهدين في مد يد العون لهم بما تستطيعون. خاطبوا الموسرين من أهل مسجدكم وغيرهم واستشعروا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ....".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله".

معاشر الأئمة:

ومن مناشط المسجد أن يحرص الإمام على قراءة ما يفيد جماعته من الكتب العلمية النافعة، والوعظية أحيانا أخرى، وعليه أيضا أن يحرص على قراءة كتب الفتاوى الشرعية للمشايخ المعروفين بالرسوخ في العلم. لأن تلك الفتاوى فيها جواب لكثير مما يحتاجه الناس مما تعمُّ به البلوى وغيرها، فإن كان الإمام قادرا على تمييز الأنفع من تلك الكتب فبها ونعمت، وإلا فليستشر أهل العلم الذين سبقوه علما وسنا، ولتحرص أيها الإمام أيضا على نفع جماعتك باستضافة شيخ أو طالب علم ليلقي عليهم ما ينفعهم، وليطرحوا عليه تساؤلاتهم وإشكالاتهم.

معاشر الأئمة:

ومن المناشط العلمية توزيع النافع المفيد من الرسائل والكتيبات والأشرطة التي تتضمن التعليم والوعظ، وعليه أن يحرص على ذلك في العبادات الموسمية كالحج ورمضان وعاشوراء وكذا ما يتعلق بالنوازل في وقتها كالخسوف والكسوف وغيرها.

معاشر الأئمة:

ومن المناشط العلمية للمسجد إقامة تلك المسابقات النافعة التي تتضمن لأسئلة علمية بخاصة وكذا الثقافية بعامة.

فهذه المسابقات تشحذ الهمم وتقوي العزائم، فلتحرصوا على ذلك مع العناية بانتقاء الأسئلة النافعة، وبخاصة فيما يحتاجه الناس في أمور العقائد والعبادات والمعاملات والسلوكيات.

معاشر الأئمة:

ومن مناشط المسجد وضع مكتبة للإعارة مقروءة ومسموعة في المسجد لتكون الكتب النافعة والأشرطة سهلة التناول لمن أراد الانتفاع.

ففي ذلك حث لجماعة المسجد على قراءة العلم وسماعه بل وتشجيع لهم على حضور مجالس العلم ومجالسة أهله.

معاشر الأئمة:

ومن مناشط المسجد وضع صندوق لاستقبال فتاوى جماعة المسجد ثم البحث في كتب الفتاوى المعروفة عن الإجابة، فإن لم يتيسر له العثور على إجابة ما يبحث عنه ذهب بتلك الأسئلة إلى أهل العلم طلبا للإجابة عليها، ومن ثم تقييد الجواب ليخبر به جماعة المسجد، كل هذا مع الحرص والعناية على التثبت عند طرح السؤال على أهل العلم وكذا كتابة الجواب.

معاشر الأئمة:

ومن مناشط المسجد العناية بمن في البيوت من الخادمات والسائقين الذين عمت بهم البلوى، فلتحرص أيها الإمام على إيصال الرسائل والأشرطة العقدية والتعليمية إلى أولئك عن طريق جماعة المسجد، وذلك بالتنسيق معهم عن معرفة لغات أولئك الخدم.

ومن ثم محاولة إحضار الكتب والرسائل والأشرطة من مكاتب الجاليات إن تيسر ذلك، وإلا فحاول جمع المال من جماعة المسجد مع إخبارهم بعظيم النفع والإصلاح لأولئك الخدم عند إيصال الخير لهم.

معاشر الأئمة:

إن من مناشط الخير التي تكاثرت في أغلب المساجد تفطير الصائمين من الفقراء وغيرهم، ففي ذلك الموسم المبارك بخاصة يبذل الناس الدعم المادي والمعنوي طمعا في الأجر ومبادرة إلى فعل الخير.

فعليكم معاشر الأئمة بالمحافظة على هذه الظاهرة الطيبة، واحرصوا جاهدين على استغلال ذلك التجمع من الجنسيات المختلفة بتوعيتهم في أمور دينهم وبخاصة في ما يتعلق بأمور المعتقد لأن كثيرا منهم قد تكون عقيدته ملوثة بقوادح عملية أو قولية.

معاشر الأئمة:

ومما يزيد الاهتمام بأولئك العمالة أنهم أو غالبهم لا يجدون وقتا للتعلم، وبعضهم يرى أنه على صواب من أمره، وليس بحاجة إلى توجيه، وكل ذلك منهم عن حسن نية.

فعليكم معشر الأئمة بتوفير ما تستطيعون من وسائل نشر الخير بينهم من مقروء ومسموع ومشافهة وذلك بإحضار من يتكلم بلسانهم ففي ذلك نفع كبير وأجر جزيل.

ومن مناشط المسجد:

أن يقوم الإمام بحث الناس على التصدق بما يفضل عن حاجتهم من اللباس والأحذية والفرش وغيرها.

يقوم الإمام ومن معه بإيصالها إلى من يعرف من الفقراء والمساكين الذين يعتبرون تلك الملابس والأحذية وغيرها من ضروريات حياتهم، بينما هي كماليات عند من تصدق بها، فإن ضعف الإمام عن القيام بهذا فعليه أن يحث جماعته على إيصالها إلى المبرات الخيرية التي تتولى بنفسها إيصال ذلك إلى المحتاجين.

ومن مناشط المسجد:

العناية بنساء الحي، ومن ذلك قراءة بعض ما يتعلق بأمور النساء ليقوم الرجال بنقله إليهن.

وكذا توزيع الرسائل التي تعتني بأمور النساء، ويحرص في ذلك على الجانب العلمي.

ومن ذلك أيضا إقامة مسابقة علمية خاصة بالنساء يقوم الرجال بإيصالها إلى البيوت، ويحرص الإمام على المسائل التي تحتاجها المرأة في طهارتها وعبادتها وغير ذلك.

ومن مناشط المسجد:

العناية بأمر الصغار ومن ذلك إقامة الحلقات لتعلم القرآن الكريم، ومثل ذلك الحرص على تعليمهم ما ينفعهم من أمور المعتقد إجمالا، وكذا أمور الطهارة والصلاة، ويضاف إلى ذلك أيضا تعليمهم بعض الحقوق والآداب كحقوق الوالدين والجيران والمسنين، وكذا آداب المجالس والسلام وغير ذلك.

ومن مناشط المسجد:

أن يقوم الإمام وبعض جماعة مسجده بمناصحة من حول مسجدهم من أصحاب المحلات التجارية التي تبيع ما لا يجوز شرعا كتلك المجلات الهابطة وغيرها كالدخان مثلا.

معاشر الأئمة:

لتعلموا سددكم الله تعالى أن بعض المصلين معكم قد يكون له بعض مآخذ على إمامه، فيسكت على مضض أويسكت رغبة عن قيل وقال، أو يسكت خشية سوء ظن الإمام به لو فاتحه في مأخذه عليه.

وإذا كان لك كذلك فاحرصوا رعاكم الله تعالى على تمثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة" أخرجه مسلم، فكلموا من ترونه خيار جماعتكم فردا أو أفرادا وسلوهم النصيحة إن كان ثمة تقصير، ولتعلموا أن في ذلك مصالح كثيرة.

فطلب النصيحة قربة، والتنبه للخطأ نعمة، والاعتراف به والرجوع عنه رفعة، وإياكم والأنفة من قبول النصح عند تقصيركم.

معاشر الأئمة:

إن مما يؤخذ على بعضكم التوسع في التبذل مع جماعة مسجده إلى أن تصل به الحال إلى خوارم المروءة.

ومثال ذلك:

أن يتصدر الإمام مجالس جماعته لا للعلم والوعظ، ولكن بسياق المضحكات والمهازل، حتى يبلغ به المقال والحال إلى درجة ما يخل بالحياء. ويجعل هذا ديدنه، وهذا فيه محذوران:

الأول: سقوط هيبة الإمام من نفوس جماعته.

والثاني: وهو أعظم أن الشيطان قد يستدرجه في التبسط في الحديث حتى يصل به الأمر إلى المحرم شرعا كالغيبة والنميمة والاستهزاء.

وتلك الساعة لا تسأل عن الضرر الذي جلبه إلى نفسه وإلى غيره ممن جالسه أو سمع عنه.

فيا معشر الأئمة!

احذروا الإفراط في هذا الجانب وكذا التفريط والانقباض والعبوس.

والمطلب الشرعي هو الاعتدال بضوابط شرعية تحفظ عليك دينك ومروءتك وسمعتك.

معاشر الأئمة:

إن من أسباب ذبذبة أفكار الناس، أن يبادر بعض الأئمة إلى الحكم في الحوادث والنوازل الكبيرة دون ترو وسؤال لأهل العلم.

فيا معاشر الأئمة! أنتم قدوة لجماعة مساجدكم، إليكم يردون، وعنكم يصدرون، فالله الله في جماعاتكم، والحذر الحذر من العجلة في القول والتسرع في إصدار الأحكام الشرعية دون الرجوع إلى سؤال العلماء الراسخين، عليكم بالرفق، فوالله لأن ينقل عن الإمام أنه سكت لجهله بالحكم خير له وأزكى وأتقى من أن يقول بلا علم ولا سؤال لأهل العلم، فذلك القول بلا علم يجره إلى الإثم والخطيئة بل قد يزيد إثمه ويتعدى ضرره إذا أفتى الناس بجهل، فتناقل الناس كلامه ونشروه، ومصدره في ذلك عاطفة جياشة أو محاكاة لزيد وعمرو.

وليجعل نصب عينيه (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا).

معاشر الأئمة:

إن من التفريط في واجب الإمامة أن بعض الأئمة يتخلف عن الجماعة دون إخبار المؤذن. أو من يوصل الخبر إلى المؤذن، مما يسبب إحراجا للجماعة بتأخيرهم عن أداء الصلاة ظنا منهم بوجوده، وقد يتحرج المؤذن أيضا من الإقامة خشية عتاب الإمام له، ويزداد هذا

الأمر سوءا إذاكان التخلف عادة للإمام، فليتق الله تعالى من كان هذا شأنه وطبعه، وليحرص على القيام بما أوكل إليه على أحسن وجه يستطيعه.

فإن حبسه حابس مرض أو سفر أو عذر آخر فليبادر بإخبار المؤذن ابتداء أو أحد جماعة مسجده، وأحسن من هذا كله أن يتفق مع المؤذن على وقت معين للإقامة، فإن جاء وإلا أقيمت الصلاة مراعاة لمشاعر الناس ودفعا للحرج والإثم عن نفسه.

معاشر المسلمين:

إن من الإنصاف والعدل في هذا المقام أن يقال أن بعض المصلين من جماعة المسجد يكون حجر عثرة في طريق الإمام، فيكثر من نقده بغير حق، ويحاول تصيّد أخطاءه، ومن ثم إشاعتها بين أفراد الجماعة وغيرهم وهذا من الظلم والجور.

معاشر المسلمين:

وقد يكون دافعه في ذلك نزعة قبلية أو إقليمية أو عداء شخصيا بينهما أو لصغر سن الإمام أو لغير ذلك.

معاشر المسلمين:

ألا فليتق الله تعالى من كان خُلُقُه كهذا، وليعلم أنه ظالم لأخيه. بل إن ظلمه لإمامه أشد إثما، لأن تشويهه لسمعة إمامه يختلف عن غيره لمكانة الإمام وشريف منزلة الإمامة.

والواجب على جماعة المسجد أن يناصحوا صاحبهم ويذكروه بالله تعالى وأنه ظالم للإمام ومتعد عليه، فإن استجاب فبها ونعمت وله ولهم، وإن أصر وعاند فلهم وعليه، لكن عليهم أن يخبروا إمامهم بأنهم لا يقرون ذلك الرجل على سوء تصرفه وظلمه. هذا في حالة كون الإمام مظلوما.

أما ي حالة كون الإمام واقعا في أخطاء جرت عليه عداوة ذاك وأمثاله فعليهم أن يناصحوا إمامهم من قبل ومن بعد، وأن يسلكوا أقوم الطرق وأهدى السبل في بيان خلله وعلاجه، وإن دعت المصلحة للحزم معه فليحزموا أمرهم وليفاتحوا إمامهم، فإن استجاب برئت ذمته وذمتهم، وإن أصر تلوثت ذمته وبرئت ذمتهم. ثم بعد ذلك هناك قنوات رسمية تتولى الأمر وتفصل فيه.

اللهم أرشد الأئمة، اللهم اجعلهم هداة مهتدين، اللهم بارك في إمامتهم وبارك في أخلاقهم وبارك في أعمالهم وجميع شأنهم.

* * *

بحوث ودراسات

كيفية التعامل مع أهل الكتاب في ضوء الكتاب والسنة

د. عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

المقدمة

أحمد الله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فهذا بحث ميسر يُبين فيه كيفية تعامل المسلم مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، حرصت فيه على قول الحق من غير مجاملة ولا ظلم، واتبعت في كل ذلك كتاب الله — تعالى — وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته العطرة، وسرت في ذلك أيضا على منهج سلفنا الكرام، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان، من علماء الدين وحماة الشريعة.

وأود أن أبين هنا أن الحديث عن أهل الكتاب يعني عموم اليهود وعموم النصارى، ممن يدعون أنهم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام كما هو منهج القرآن، ولا نقصد طائفة معينة من اليهود، كالعنانية أو العيساوية أو السامرة، ولا طائفة معينة من النصارى، كالنصطورية أو الملكانية أو اليعقوبية.

ولقد بذلت في بيان الحق غاية جهدي، وأسأل الله — تعالى — أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، نافعا لعباده المؤمنين، وسبب هداية واستسلام للحق لمن لم ينضم بعد لركب المؤمنين، وما ذلك على الله بعزيز، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

دعوتهم إلى الإسلام

جاءت آيات متعددة في حث النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين على دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان والإسلام، ذلك لأن الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله — تعالى — من أحد سواه بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ونزول القرآن: (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما

هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون). [1]

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون). [2]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فاليهود والنصارى ليسوا على ملة إبراهيم، وإذا لم يكونوا على ملته لم يكونوا يعبدون إله إبراهيم، فإن من عبد إله إبراهيم كان على ملته"، قال تعالى: (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا ما كان من المشركين) إلى قوله: (وهو السميع العليم). [3]

فقوله: (قل بل ملة إبراهيم) يبين أن ما عليه اليهود والنصارى ينافي ملة إبراهيم عليه السلام.

وهذا بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مما لا ريب فيه، فإنه هو الذي بُعث بملة إبراهيم، والطائفتان كانتا خارجتين عنها بما وقع منهم من التبديل، قال تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) [4] **وقال: (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم)** [5] **الآية، وقال: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا).** [6]

والمقصود أن كل من رغب عن ملة إبراهيم فهو سفيه .. فأما موسى والمسيح – عليهما السلام – ومن اتبعهما فهم على ملة إبراهيم، متبعون له، وهو إمامهم، وهذا معنى قوله: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) فهو يتناول الذين اتبعوه قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعد مبعثه، وقيل إنه عام .... ". [7]

وقوله – سبحانه –: (لا نفرق بين أحد منهم) دليل على أن المسلمين يؤمنون بجميع الأنبياء، وفيه توبيخ لأهل الكتاب الذين يفرقون بين الرسل والكتب، والذين يؤمنون ببعضها، ويكفرون ببعض، وينقض تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا أنهم قد

---

[1] البقرة: (135 – 138).
[2] آل عمران (64).
[3] البقرة (135 – 138).
[4] آل عمران (68).
[5] الأنعام (161).
[6] النحل (123).
[7] "مجموع الفتاوى" (16/ 569، 572)، وانظر: "جامع البيان" (1 / 563)، و "معالم التنزيل" (1 / 119)، و "الجامع لأحكام القرآن" (2 / 139)، و "إرشاد العقل السليم" (1 / 146).

آمنوا به قد صدق سائر الرسل، وخصوصا محمدا صلى الله عليه وسلم، فإذا كذبوه فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرا برسولهم، ويصحب التوبيخ الذي اشرت إليه آنفا دعوة صريحة إلى الإيمان بمثل ما آمن به المسلمون، وأن أهل الكتاب إن فعلوا ذلك بالانضواء تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم فقد اهتدوا إلى الصراط المستقيم الموصل لجنات النعيم، الذي ليس بعده إلا الهلاك: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم). [8]

وسلك القرآن في دعوته أهل الكتاب إلى الإسلام أسلوبا آخر، هو إعلامهم بمجيء الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم بشيرا ونذيرا:

(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم). [9]

وقال سبحانه: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير). [10]

"هنا أمر لليهود والنصارى أن يؤمنوابمحمد صلى الله عليه وسلم ويدخلوا في الإسلام، فقد احتج عليهم – سبحانه – بآية قاطعة دالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم، وهي أنه يبين لهم كثيرا مما يخفون على الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم، ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا ما عندهم، فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن العظيم الذي بيّن به ما كانوا يتكاتمونه بينهم، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب من أول الدلائل على القطع برسالته، وذلك مثل صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم، ونحو ذلك ..". [11]

ومن طرق دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام بيان الأجر الذي سوف ينالونه لو آمنوا ودخلوا في هذا الدين، يقول – سبحانه –: (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم

---

[8] انظر: "تيسير الكريم الرحمن" ص 68 .
[9] المائدة (15 – 16).
[10] المائدة (19).
[11] "تيسر الكريم الرحمن" ص 226، وانظر: "تفسير القرآن العظيم" (2 / 35)، و "أنوار التنزيل" (2 / 307)، و "روح المعاني" (6 / 97).

ولأدخلناهم جنات النعيم، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون). [12]

ويأتي التحذير من ضد ذلك، بالكفر والإعراض، وهذا كله دعوة لأهل الإسلام أن يقولوا ذلك لهم: (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون). [13]

وقال – سبحانه –: (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون). [14]

ولابد أن ينبه هنا إلى أنه في حال عدم رضوخهم للإسلام وأحكامه فإنهم تؤخذ منهم الجزية، فإن أبوا قوتلوا إذا كان للمسلمين قوة، لقوله – سبحانه –: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). [15]

وقد رُوي عن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – أنه بعث إلى رستم، فقال له رستم: إلام تدعو؟ فقال: أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما لنا، وعليك ما علينا. قال: فإن أبيت؟ قال: فتعطي الجزية عن يد وأنت صاغر. فقال لترجمانه: قل له: أما إعطاء الجزية فقد عرفتها، فما قولك: وأنت صاغر؟ قال:تعطيها وأنت قائم وأنا جالس والسوط على رأسك. [16]

ومما يدخل في هذا الإرشاد الرباني إلى الانضواء تحت راية الإسلام تحذير أهل الكتاب من عمل كانوا يمارسونه في جاهليتهم بسبب تحريفهم لكتابهم، وهو الغلو في الدين، فإن ترك الغلو في الدين مما جاء به الإسلام: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا). [17]

---

[12] المائدة (65 – 66).
[13] آل عمران (70 – 71).
[14] آل عمران (98- 99) .
[15] التوبة (29) .
[16] أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (3 / 411) ط. دار الكتب العلمية.
[17] النساء (171) .

فهذا حث من الله – تعالى – لأهل الكتاب وللمسلمين كذلك أن يقولوا لأهل الكتاب: احذروا من الغلو في الدين، ولا تتجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى توصلوه إلى مقام الإلهية، كما صنع النصارى في عيسى الذين قالوا: إنه ابن الله، وكما قال اليهود في عزير: إنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وقد بين الله – تعالى – لهم القول الصواب في ذلك، فإن عيسى – عليه السلام – إنما هو في درجة الرسالة التي هي أعلى حالة تكون للمخلوقين، وكلمته التي ألقاها إلى مريم، كلمة تكلم الله – تعالى – بها فكان بها عيسى، وهو روح منه، أي من الأرواح التي خلقها وكمّلها بالصفات الفاضلة، والأخلاق الكاملة، وأرشدهم – سبحانه – بعد ذلك إلى ما به نجاتهم في الدنيا والآخرة، وهو أن يقولوا: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا) فالكل مملوكون له، مفتقرون إليه، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد. [18]

المبحث الثاني
مجادلتهم بالتي هي أحسن

الجدال والمجادلة: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله، ومنه الجديل، وجدلت البناء أحكمته ... ومنه الجدال، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة. [19]

وقد نهى الله – تعالى – عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وهم من أفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح، ولم ينفع فيهم الرفق [20]، قرر ذلك – سبحانه – بقوله: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون). [21]

ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن تتضمن عدة أمور:

---

[18] انظر: "تفسير القرآن العظيم" (2 / 83)، و "زاد المسير" (2 / 260) و "مجموع الفتاوى" (12 / 464)، و "تيسير الكريم الرحمن" ص 216 .
[19] "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني ص90 .
[20] "مدارك التنزيل" للنسفي (3 / 261).
[21] العنكبوت (46).

1 – "أن تكون المجادلة عن بصيرة، وبقاعدة مرضية، بحيث يكون الكلام واضحا من غير لبس.

2 – أن يكون بحسن خلق، ولطف ولين كلام، بدون فظاظة ولا غلظة، لأن استخدام اللين سبب في الاستجابة، كما قال – تعالى –: (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى). [22]

3 – ألا يكون القصد من المجادلة مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد منها بيان الحق وهداية المجادل.

4 – أن تكون دعوة إلى الحق وتحسينه، وردا عن الباطل وتهجينه.

5 – أن تكون المجادلة لهم مبنية على الإيمان بما أنزل الله – تعالى – إليهم – أي إلى أهل الكتاب – وما أنزل على المسلمين، وعلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسى – عليهما الصلاة والسلام –، وعلى أن الإله واحد – سبحانه وتعالى –.

6 – ألا تكون مجادلة المسلمين لأهل الكتاب على وجه يحصل به القدح في شيء من الكتب الإلهية، أو بأحد من الرسل، كما يفعله الجاهل عند مناظرة الخصوم، يقدح بجميع ما معهم من حق وباطل، فهذا ظلم وخروج عن الواجب وآداب النظر، فإن الواجب أن يرد ما مع الخصم من الباطل، ويقبل ما معه من الحق، ولا يرد الحق لأجل قوله، ولو كان كافرا، فإن بناء مناظرة أهل الكتاب ومجادلتهم على هذا الطريق فيه إلزام لهم بالإقرار بالقرآن، وبالرسول الذي جاء به، فإذا تكلم في الأصول الدينية التي اتفقت عليها الأنبياء والكتب، وتقررت عند المتناظرين، وثبتت حقائقها عندهما، وكانت الكتب السابقة والمرسلون مع القرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم قد بينتها ودلت عليها وأخبرت بها، فإنه يلزم التصديق بالكتب كلها، والرسل كلهم، وهذا من خصائص الإسلام.

فأما أن يقال: نؤمن بما دل عليه الكتاب الفلاني دون الكتاب الفلاني، وهو الحق الذي صدّق ما قبله، فهذا ظلم وجور، وهو يرجع إلى قوله بالتكذيب، لأنه إذا كذب القرآن الدال عليها المصدق لما بين يديه من التوراة فإنه مكذب لما زعم أنه به مؤمن. كما إن كل طريق تثبت به نبوة أي نبي كان، فإن مثلها وأعظم منها دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكل شبهة يقدح بها في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإن مثلها أو أعظم منها يمكن توجيهها إلى

---

[22] طه (44).

نبوة غيره، فإذا ثبت بطلانها في غيره فثبوت بطلانها في حقه صلى الله عليه وسلم أظهر وأظهر". [23]

ومن الأمثلة التي يستشهد بها في مجادلة أهل الكتاب ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: بينما نحن في المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس [24]، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فناداهم فقال: "يا معشر يهود، أسلموا تسلموا". فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم. قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذلك أريد"، ثم قالها الثالثة فقال: "اعلموا أنما الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله". [25]

قال ابن حجر: قوله: "ذلك أريد" بضم أوله، بصيغة المضارعة من الإرادة: أي أريد أن تقروا بأني بلغت، لأن التبليغ هو الذي أمر به .... وبالغ في تبليغهم وكرره، لأنهم لم يذعنوا لطاعته، وهذه مجادلة بالتي هي أحسن. [26]

ومن أفضل من رأيت من أهل الإسلام ممن يحسن مجادلة النصارى: الشيخ أحمد ديدات – يرحمه الله –، فقد اشتهر بمناظراته لقسس النصارى حول التناقضات العجيبة في أناجيلهم المحرفة وغيرها من الأباطيل الموجودة عندهم، كل ذلك بنفس طيبة هادئة، وهذا مما أحدث دويا في الغرب، فقد دفع حديثه عن تناقضات الأناجيل الكنيسة ومراكز الدراسات التابعة لها والعديد من الجامعات في الغرب لتخصيص قسم خاص من مكتباتها لمناظرات هذا الأستاذ الكبير وكتبه، وإخضاعها للبحث والدراسة، سعيا لإبطال مفعولها. [27]

(يتبع)

* * *

[23] "تيسير الكريم الرحمن" ص 632، وانظر: "جامع البيان" (21/ 1)، و "زاد المسير" (6 / 275)، و "معالم التنزيل" (3 / 470)، و "أنوار التنزيل" (4 / 318)، و "مجموع الفتاوى" (15 /105).

[24] موضع لهم تقرأ فيه التوراة، انظر: "القاموس المحيط" ص 702 مادة (درس).

[25] أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه (13 / 314) مع الفتح ومسلم (3 / 1387).

[26] "فتح الباري" (13 / 314).

[27] موقع "إلام اون لاين" أحمد ديدات شيخ المناظرين، للأستاذ شعبان عبد الرحمن.

اللغة العربية

التعريف بكتاب فقه اللسان

إعداد: وسيم المحمدي / المدينة المنورة

اسم الكتاب: فقه اللسان.

المؤلف: السيّد كرامت حسين الكنتوري الهندي المتوفى سنة **1335**هـ.

حجم الكتاب: يتكون الكتاب من مقدمة مستقلة، ومجلّدين:

المقدمة: وسماه: بـ"المقدِّمة في بيان حدوث المصادر الأصلية من اللسان العربي بحكاية الأصوات". وكتب على غلاف الطبعة الثانية منها ورؤوس صفحاتها "مقدمة فقه اللسان".

وهذه المقدمة مجموعة للأصول التي قرّرها المؤلف في اللسان العربي، وقد تعرّض فيها لمسائل عديدة من مسائل اللغة العربية من بيان حدوث المصادر الأصلية التي تحكي الأصوات، وتفريع المصادر الأخرى من المصدر الأصلي، والاشتقاق الأكبر، وما جاء في أصل اللغة العربية، وكيف تحدث المادّة الأولى من الكلمة في شكل المصدر ثم تتفرع إلى فروعات كثيرة عن طريق القلب والإبدال وغير ذلك، مع مسائل أخرى ومباحث فلسفية ضمنها هذه المقدمة كما يظهر من اسمها، ففيها نبذ من بيان الكون والفساد وشيوعه في الحيوانات والنباتات والمخترعات الإنسانية، وتحتوي على مسائل عديدة من الحكمة، وعلى مباحث نفيسة من العلة والمعلول، وهذه مباحث منطقية فلسفية معروفة، ولكنه جاء بها في أسلوب لطيف متصل بالموضوع الذي يعالجه في المقدمة.

والذي يميز المقدمة أنه جمع فيها بين النظريات الحديثة في علم اللغة وبين الآراء القديمة في أصولها، وجعلها شاملة للنظريات اللغوية القديمة والحديثة في أسلوب جيد لطيف.

وتشتمل المقدمة على **195** صفحة.

المجلد الأول:

ويبدأ هذا المجلد بمقدمة وجيزة تشمل على دعاء موسى عليه السلام (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري...)، ثم الحمد والصلاة على رسوله وعلى آله وأصحابه، مع بيان أن المصادر المذكورة في هذا الكتاب أمثلة للأصول التي قررها في المقدمة.

ثم ينتقل إلى أوّل مادة تعرض لشرحها وهي مادة (جَرَرٌ)، وهي مصدر أصلي يحكي صوتا يسمع عند جرّ غصن يابس ذي شوك على الأرض. وينتهي هذا الجزء بنهاية ما تكلم عن مادة (فَوْضٌ) وهي مصدر فرعي مأخوذ من الفضّ، أي: الكسر.

ويحتوي هذا المجلد على **568** صفحة.

المجلد الثاني:

يبدأ هذا المجلد من مادة (غَلَلٌ)، وهي مصدر أصلي يحكي صوت دخول الماء بين الأشجار إذا سقيت. وينتهي بنهاية الكلام على مادة (عَوْلٌ)، وهي مصدر فرعي مأخوذ من علا.

وتليها خاتمة للكتاب ذكر فيها المؤلف بعض مصادر الكتاب، ومدة تأليفه، كما قدّم شكرا لمن لهم يد بيضاء في إخراج هذا الكتاب.

ويحتوي هذا المجلد على **321** صفحة.

وبالاختصار فالمقدمة تحتوي على أصول دقيقة قررها المؤلف، والمجلدان الآخران من كتاب "فقه اللسان" يعدّان أمثلة تطبيقية لهذه الأصول والنظريات كما صرح به في بداية المجلد الأول منه.

محتوى الكتاب:

يقوم أصل الكتاب على فكرة نادرة مهمة، وهي محاولة جمع المصادر الأصلية التي تحكي الأصوات، ثم شرحها وبيان اشتقاقاتها المختلفة، وما يطرأ عليها من تغيير تبعا لتغير الاشتقاق، مع محاولة إيجاد علاقة بينها في أصل المعنى محاولة جادّة مشكورة.

كما يقوم المؤلف بذكر مصادر فرعية، بحيث إذا انتهى من مصدر أصلي يحكي صوتا ما، يبدأ بمصادر تفرعت عن هذا المصدر الأصلي، ويقوم بشرحها على المنهج الذي انتهجه في شرح المصدر الأصلي، مع محاولة إيجاد علاقة بين المصدر الأصلي والمصادر الفرعية منه قدر المستطاع.

منهج المؤلف في الكتاب:

يبدأ المؤلف بمصدر أصلي يحكي صوتا ما، ثم يقوم بشرح هذا المفرد، ويهتم باشتقاقاته المختلفة اهتماما بالغا بذكر معانيه المختلفة وصلتها بالمعنى الأصلي.

ثم ينتقل إلى المصادر الفرعية التي تفرعت من هذا المصدر، ويقوم بشرحها على نفس المنهج، مع محاولة جادة في إيجاد علاقة بين المصدر الأصلي الذي يحكي الصوت وبين المصادر الفرعية التي تفرعت عنه، سواء حكت الصوت أم لم تحك، وذلك على قدر المستطاع، فإن لم يستطع إيجاد العلاقة، صرّح بقوله: "لا أدري العلاقة"، وأيضا فإن المؤلف معني في كتابه ببيان المعاني الحقيقية والمجازية للكلمة الواحدة.

كما حاول المؤلف الاستشهاد على ما يذكر بالقرآن والحديث والشعر والأقوال والأمثال، بعيدا عن الاستطراد والحشو كل البعد.

مصادر الكتاب: استفاد المؤلف من مصادر لغوية كثيرة، ومن أهمّ هذه المصادر التي اعتمد عليها _كما صرح بذلك في بداية المجلد الأول والخاتمة_ ما يأتي:

1- لسان العرب لابن منظور، وقد أكثر النقل منه.
2- قاموس العبرانية والكلدانية لفسنيوس، وقد استفاد منه في الألفاظ العبرانية.
3- دليل الراغبين في لغة الآراميين ليعقوب أوجين منا، وقد استفاد منه في الألفاظ السريانية.

نسخ الكتاب:

أولا: المقدمة:

توجد للمقدمة نسختان:

- نسخة مطبوعة طباعة على الحروف في سنة 1895م ببلدة عليكره بالهند.
- نسخة مطبوعة على الحجر في سنة 1915م بمطبعة نولكشور ببلدة لكناؤ الهند.

ثانيا: المجلدان من كتاب فقه اللسان:

طبع المجلدان طباعة على الحجر، ونشرا في سنة 1915م، كما هو موجود على غلافه المعنون، وهي نسخة واحدة مصححة مصوبة في حياة المؤلف.

وقد طبعا بمطبعة "نولكشور" في بلدة لكناؤ عاصمة ولاية أترابراديش بالهند.

ميزات الكتاب:

إن كتاب فقه اللسان مع المقدمة يعدّ كتابا نادرا في بابه، مفخرا للمجال اللغوي، ثروة عظيمة في بابه، وقد اشتمل الكتاب على ميزات تلزم الباحث اللغوي بإخراج هذا السفر في صورة مرضية مشرفة، ومنها:

1. إن المقدمة اشتملت على أمور مهمة متعلقة بأصول ونظريات قديمة وحديثة في اللغة العربية، وقد تقدم ما حوته من مسائل بإيجاز.
2. إن هذا الكتاب جمع بين دفتيه مصادر كثيرة تحكي الأصوات؛ بل قام على هذه الفكرة، ولا أعلم كتابا كاملا اتّسم بهذه السمة.
3. إن هذا الكتاب جعل المصادر نوعين، أصلية، وفرعية تفرعت عنها، وحاول بذلك رد كثير من الكلمات المنثورة إلى قليل من المصادر الأصلية.
4. حاول المؤلف إيجاد علاقة بين المصدر الأصلي والمصادر الأخرى تفرعت عنه، بطريقة لطيفة تقوم على تحليل لغوي لطيف ممتع.
5. اهتم بالاشتقاق اهتماما بالغا، وذلك في شرح كل من المصادر الأصلية، والفرعية، وبيان اشتقاقاتها المختلفة ومعانيها المتنوعة على تنوع هذه الاشتقاقات بطريقة لطيفة ممتعة قريبة من الذوق اللغوي.

6. يهتم بالاشتقاق اهتماما يجعله قريبا من معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ويهتم بالمعاني الحقيقية للكلمة والمعاني المجازية لها، وهذا يجعله قريبا من أساس البلاغة للزمخشري.
7. تجنب في شرح المواد عن الاستطراد والحشو تجنبا واضحا ملموسا.
8. اعتمد في كتابه على أقوال الأئمة الموثوق بهم من أهل اللغة.
9. تنوع في الشواهد من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والأقوال والأمثال.
10. اهتم بالمعرب والدخيل اهتماما واضحا.
11. ربما يذكر كلمات عبرانية وسريانية تقابل كلمات عربية إذا قاربتهما في الصورة.
12. استغرق المؤلف في تأليفه ما يقارب 30 عاما (1886م_1915م)، وهذه مدة لا يستهان بها، وهي تدل على الجهد الجبار الذي بذله المؤلف في تقويم هذا الكتاب وإخراجه في هذه الصورة الثرية الشريفة.
13. كل مجلد من المجلدين يبدأ بفهرس للمواد وينتهي بتصويبات للأخطاء التي حصلت في الكتاب.
14. خرج الكتاب للناس في حياة المؤلف، وصُوِّب في حياته، وهذا يعطي قيمة كبيرة للكتاب حيث أخرج وصوب في حياته.

ملاحظات على الكتاب:

من أهم الملاحظات على كتاب فقه اللسان:

1- حشو بعض مباحث المقدمة بأمور فلسفية ومباحث كلامية تذهب به بعيدا عن روح اللغة العربية التي تقوم على الفطرة والذوق والتذوق، بل قد تبعده عن الموضوع الأساسي والهدف الرئيسي الذي أشار إليه في بدايتها.
2- الإكثار من النقل، ولا سيما من لسان العرب لابن منظور.
3- عدم الالتزام بأي ترتيب معين _كما يظهر لي_ في وضع المواد من المصادر.
4- التعسف أحيانا في بيان أصول بعض الكلمات من العبرانية والسريانية، وفي إيجاد العلاقة بين المصادر الأصلية والفرعية.
5- عدم الاعتماد على بعض المعاجم المهمة المتعلقة بالموضوع.

ومع هذا فإنه يكفي للمؤلف ابتكار هذه الفكرة، وجمع المصادر التي تحكي الأصوات في مؤلف مستقل، وتفريعها على الأصل والفرع، وإيجاد العلاقة بينها ... إلخ، مع وضع مقدمة اشتملت على أصول ونظريات متعلقة باللغة العربية جامعة بين القديم والحديث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

***

ركن الطلاب

رمضان: إيمان وعرفان

حسن البناء عبد الغفور
السنة الثانية للفضيلة الجامعة السلفية، بنارس

سمعت الناس غير مرة يقولون: عجبا لأمر هؤلاء العلماء، علماء الكتاب والسنة الذين يزعمون أنهم يرشدون الناس إلى الخير والصلاح، لا يزالون يرددون كلمات "الصلوة، والصوم، والزكاة، والحج، والبر والصلة" وما إلى ذلك من عبادات الإسلام، ولا يولون أحاديث الدنيا أيما أهمية ! !

فإن سمحوا لي بالقول قلت لهم: هل تعجبون من أناس تفرغوا لتعريفكم بما فيه لكم السعادة والخير، إذاأنتم في ضلال بعيد، ولعلكم تعرفون أن أهل البصائر والألباب من ذرية آدم مسلمهم وكافرهم سعوا في كل زمان إلى ما يحصلون به على الراحة الدائمة والسعادة الخالدة، وهذا الذي نشهده اليوم في صورة تزايد المسلمين في أوربا، كلما تعرف أحد من أهاليها على حقيقة الإسلام ومبادئه العادلة لم يكن منه إلا أن اعتنقه مهما عظمت في سبيله المصائب.

أريد أن أدخل في حديث عن الصوم، ولا أجد المدخل فأجعل من كلمات كتبتها يوما من الأيام الماضية مدخلا، فسامحوني، أجزل الله لكم الجزاء، إنه لا يضيع أجر المحسنين.

"تتراكم السحب وتتكاثف فيخرج الودق من خلالها وينزل، فيخضر البلدة الميتة وينضر، فتورق الأشجار، وتؤتي أكلها، وتتفتح الأزهار وتبعث نشرها، وتخضر الأعشاب وتزهو برونقها، فتذهب الريح الخبيثة من الجو وتخلفها الريح الطيبة، وتذهب بذهابها أحزان ما في السماوات والأرض وتعقبها أفراح، كذلك أيام الصوم تحمل في ثناياها الفرح والسرور والرونق والبهاء والأمان والاطمئنان، ونزعات العبادة والخير".

لا يسأم أحدكم هذه الشوارد، فما هي إلا خواطر أريد أن أضعها في أيديكم ولو كانت في غير نسق ملائم.

نذهب بكم الآن إلى المجتمعات الإسلامية لنلقي نظرة فاحصة على ممارسات أفرادها اليومية، فتابعوا معي أعمالهم التي يعملونها منذ الصباح وحتى المساء، فلتجدن أغلبية ساحقة منهم —حسبما شاهدته في بعض المجتمعات، والله أعلم —لا يأتون من شعائر الإسلام اليومية شيئا يذكر.فإذا عثرتم على ظروف المجتمعات الدينية، فارجعوا إلى أنفسكم ثم سلوها ما هي الطريق التي ان اتخذناها تخلصنا من هذه الشرور؟ هل وجدتم من حل لهذه المشكلة؟

فاسمعوا مني — ولست بأعلم منكم، وفوق كل ذي علم عليم — أشير على الدعاة الذين كلما فجعوا بمأساة دينية أصيب بها المجتمع بادروا إلى شرح طريق النجاة منها، أشير على هؤلاء النفوس الزكية — ولا يليق بمثلي الإشارة — أن يحدثوا الناس كلما سنحت لهم الفرصة

بما يذيب لفائف قلوبهم. وينفخ في أرواحهم الميتة حياة جديدة، ويفجر عيونهم المتحجرة عبرات منهملة، ويجعل منهم رجالا لا يزالون في ذكر الموت والآخرة.

وقد حلت بساحتنا أيام مباركة لا تساويها أيام أخرى فضلا وبركة، إنها تفد علينا لتجدد إيماننا الذي ربما تسوسه أرضة المآثم التي نجترحها طيلة السنة، لشحن الدماء في عروقنا التي تصيبه البرودة كلما نتنكب عن صراط الإسلام القويم، لتؤطد العلاقة التي تعلق قلوبنا بربنا الكريم الذي طالما نسيناه — وهو ولينا — لهذه الدنيا الغرارة التي فضلناها على الآخرة.

لتذكرنا بحقيقة هذه الدنيا وأنه إنما خلقنا الله — تعالى — ثم بثنا فيها، لنتحرى الأعمال الصالحة التي تعود بها حياتنا سعيدة هنيئة، ونتقي الأعمال السيئة التي تسبب لنا الحسرة والشقاء.

فهذه فرصة متاحة للإكثار من تلاوة القرآن، ونوافل الصلاة، ومأثور الأدعية والأوراد، ومعروف الصدقات، وما إلى ذلك من أعمال البر والخير، ولاسيما ما يعم نفعه الجميع.

نقضي أحد عشر شهرا في التجارة والإدارة والأكل والاحتساء والارتداء والتجمل والتفاخر والتكاثر، وكان ينبغي لنا أن لا نغفل عن الله — جل وعلا — وذكره بهذه الأشغال التافهة. أفلا نقضي هذا الشهر الوحيد في عبادة الله وحده حتى نتعود عليها ولا نغفل عنها في الشهور التي تليها، ولا تزيدنا الأيام إلا رغبة إلى الله تعالى واشمئزازا عن زخارف الدنيا وزهرتها.

فتعالوا يا إخوة الإسلام نغتنم هذه الفرصة الذهبية التي لا ندري هل تصيبنا في العام المقبل أم يحول دونه الموت، فإنه لا يعلم أحد متى تذهب روحه لسبيلها. قال البخاري — تغمده الله برحمته —:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع — فعسى أن يكون موتك بغته
كم صحيح رأيت من غير سقم — ذهبت نفسه الصحيحة فلته

ونرجع إلى الله — تعالى — بجباهنا الآثمة فنسأله أن يغفر لنا ذنوبنا ويوفقنا في هذه الأيام المباركة للإكثار من الخيرات والمبرات، وتوثيق العلائق الودية، وتطبيق الأخوة الإسلامية في أرض الواقع، ونبذ العداوة والضغينة، حتى نكون جميعا إخوانا متحابين متآزرين كمثل جسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، حتى إن نظر إلينا الناظر وتابع تحركاتنا وسكناتنا ولحظ أفعالنا وعاداتنا وتأمل شعائرنا وممارساتنا اعترف بحقيقة الإسلام ومحاسنه وخيل إليه أن الإسلام صورة ملموسة لها طول وعرض قد تمثلت في أقوالنا وأعمالنا، هنا يكتب لنا السعادة والظفر ويحالفنا النجاح والفلاح.

وفقنا الله لاغتنام هذه الفرصة الثمينة من خلال أيام رمضان المباركة.

* * *